

مشاكل اعتراف

سمانا السامرائي

نوع العمل: رواية

اسم العمل: مشاكل اعتراف

اسم المؤلف: سمانا السامرائي

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

الطبعة: الأولى أبريل ٢٠١٨

تصميم الغلاف: بمعرفة الكاتبة

تدقيق لغوى: بمعرفة الكاتبة

تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منثورة للنشر الإليكترونى من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://herufmansoura٢٠١١.wix.com/ebook

كما يمكنكم متابعتنا من خلال صفحتنا الرسمية على الفيس بوك من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://facebook.com/herufmansoura

كما يمكنكم مراسلاتنا بأعمالكم و مقترحاتكم على الإيميل التالى:

Herufmansoura٢٠١١@gmail.com

دار حروف منثورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر الالكتروني ولا تتحمل أي مسئولية اتجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

رواية

مشاكل اعتراف

سمانا السامرائي

إهداء

إلى الأشخاص الذين وقفوا بجانبي ودعموني وانتظروا بصبر هذه الرواية...

وإلى الصديقتين اللتان قدمتا يد العون بكل الطرق، وشجعتاني، وآمنتا بي أكثر من نفسي

المُدوِنة الرقيقة، والصديقة الرائعة (lavender)

و المُدوِنة المحفزة على الإنجاز دائماً، وبطارية السعادة (باشة الرشيد)...

وكل أولئك الذين قالوا (لن تكتبي)، لقد كتبت روايتي الأولى، اقرأوها إنها ممتعة ^_^

مقدمة

(مشاكل اعتراف) هي رواية من ثلاث أجزاء بثلاث أساليب لغوية مختلفة لتجسد ثلاث مفاهيم مختلفة (الإقدام والشجاعة/ التردد والتعلق بالماضي والضعف/ الامتزاج بين الخوف والشجاعة لتصور الحكمة الشخصية بأبهى صورها) تكمل بعضها لتصف مشاعر الشباب، وتقترب منهم ومن لحظات يأسهم، و تمنحهم رسالة إيجابية ليثابروا ويجتهدوا.

تدور الأحداث حول البطل المشرق والمجد والذي لا يخلو من جانب صبياني "وائل " الذي يحاول البوح بمشاعره في الجزء الأول لحبه الأول والوحيد "منيرة "، ويحاول دائماً إظهار نفسه بشكل رائع لكي يهزم غريمه المحامي "بيلسان "

تظهر في الجزء الثاني "بعد الاعتراف" مشاعر "وائل" بوضوح، ويحاول التعلم من أخطاءه دائماً ليكون شخصاً جيداً ولكن هناك دائماً مشكلة ما. يركز هذا الجزء على المشاعر والمشاكل الواقعية التي تحدث بين المحبين بالإضافة لتعثر جيل الشباب في فهم الآخرين.

بينما يتكلم الجزء الثالث "مطر غزير... ليل طويل" العذب نوعاً ما عن منيرة الحائرة والمتخبطة في الحزن المتعب والانتظار الذي لا بديل عنه.

ترى كيف سيواجهان العقبات سوياً؟ وأي نوع من العقبات ستكون؟

الفصل الأول: مشاكل اعتراف

*ليست ملائمة لمن هم دون الخامسة عشر

عند الساعة الخامسة والنصف صباح يوم الأربعاء... الجو لا يمكن أن يكون أروع، نسيم بارد عليل، والشمس ولدت منذ بضع دقائق...

يجلس وائل الفتى الوسيم الثري ذو الستة والعشرون عاماً على حقيبة سفره المعدنية الكبيرة سانداً ظهره إلى العمود في خارج المطار، يُخرج هاتفه الذكي من جيبه، ثم يتصل بسائقه، ولكنه لا يحصل على رد، فيعاود الاتصال ثانية، يرد عليه السائق وهو يتثاءب، ثم يصرخ قائلاً: من أنت أيها الأحمق؟ ألا يمكنك رؤية الساعة؟

يرد وائل بصوت هادئ: أنا أيضاً أتساءل ألا يمكنك رؤية الساعة وقراءة اسمي؟

يشعر السائق برعب، ويقول: آسف سيدي سآتي حالاً.

يصرخ وائل قائلاً: أسرِع... كيف يمكنك أن تنام وحدك (يُظهر تعبيراً حزيناً) وتتركني في المطار أحتضر من النعاس؟

وائل فتى ثري عصري، يوحي مظهره بأنه مدلل، يعرف جيداً إنه شخص وسيم، وإن عينيه الشبيهتان بالرسوم المتحركة، وشعره المنسدل المائل إلى البني، ووجهه البيضوي، وجسده الرياضي من أهم نقاط القوة في مظهره، ويؤلمه حقاً إنه اضطر لحلاقة شعره بالكامل أثناء قيامه بأعمال الإغاثة في الهند وفيتنام في الستة أشهر الماضية.

يغمض عينيه لدقائق، ويبتسم، تمسك يده فتاة ما، يفتح عينيه فزعاً، فتقول الفتاة وابتسامة مشرقة تعلو محياها: ماذا تفعل هنا؟ وما هذا الرأس الأقرع؟ (تضرب على رأسه)

يبعد يدها عنه، وينظر لها باشمئزاز قائلاً: تمنيت إن أراك قد تغيرت بعد بمرور ستة أشهر، ولكنك ما زلت نفس الفتاة عديمة الإحساس والكرامة.

تعض ساعده بقوة، وتقول: وما زلت بغيضاً، وعنيداً.

يقول: لمَ تحبيني إذن؟

تقول منزعجة: ليتني أدري... لمَ تحب أنت عجوز؟ (تتمتم) ليت باستطاعتي معرفة هويتها لتمزيقها إرباً.. إربا.

يفكر بأسف تجاه "دمية " الفتاة التي ربما لم تغمض لها عين هذه ليلة لكي تستعد لاستقباله، إنها بالفعل دمية بشرية، وتستحق رجلاً أفضل، لو لم تكن منيرة في قلبه لكان أختارها هي من دون شك.

يصل السائق وهو نصف نائم، يضع وائل حقيبتيه بنفسه في حقيبة السيارة، ويختار المقعد الخلفي للجلوس، ويركب.

يقاطع اعتذارات السائق المنسابة كأنها جدول ربيع، ويقول: ليتك حملت حقائبي، وفتحت الباب عوضاً عن كلمات الأسف عديمة الفائدة... أوصلني لشقتي من دون ولا كلمة، وإلا سأخصم من راتبك أسبوع كاملاً.

يستخدم وائل المقعد الخلفي كسرير فيمدد ساقيه، ويسند ظهره للنافذة، ويجتر بعض الذكريات.

<اللقاء الأول>

تبدو له ذكرى اللقاء الأول قطعة من خرافة أو قصة خيالية، إنها ذكرى بعيدة جداً لا يبدو وكأنها حصلت بالفعل ذات مرة، ولكنه أيضاً يذكرها كما لو إنه شاهدها في فيلم ما في وقت قريب، ليس واثقاً إن كان هو من صنع تفاصيل هذه الذكرى، أو هو من خلقها من العدم، أم بالفعل حصلت؟

كان ذلك بينما كان في الصف الثاني ابتدائي... تحديداً في اليوم الثالث من العام الدراسي.

كان طفلاً بديناً، منتفخ الخدين وأحمرهما، أشقر الشعر، يرتدي نظارات كبيرة بإطار شبه دائري كحلي عريض، لا يبدو عليه انه من عائلة ميسورة الحال بتاتاً.

كان يجري في الممر حين طلبت منه فتاة قد انتقلت اليوم للمدرسة إرشادها للصف الرابع.

وحين أوصلها شكرته، وقرصته من خده، وربتت على رأسه.

ومنذ ذلك الوقت قرر إنه سيحبها للأبد رغم كونه قرار طفل، لكن في ما بعد أثبتت له الأيام إن ذلك القرار كان صائباً.

****

يصل إلى مبنى الذي يحتوي شقته، يقف أمام باب المصعد، فتتراءى له صورته منعكسة على باب المصعد، وتهب بقوة ذكرى من سبعة أشهر.

<أنت نجمتي وستقودينني للاتجاه الصحيح>

كان قد تشاجر مع أخيه كامل الذي يكبره بعشر سنوات، ويعيش حياة "نموذجية" لشخص مستقيم، صارم، ينال احترام الجميع، تزوج كامل في التاسعة عشر من عمره وكان متفوق في الجامعة رغم ذلك، وتولى أدارة أعمال العائلة، ووسع رقعة أملاكها.

كامل على النقيض من وائل في التفكير، ولذا هما دائما الصراع لا يتفاهمان مطلقاً، ولكن هذه المرة كان صراخ كامل حاداً، وكلامه قاسياً، حمل وائل سترته وخرج، فهو لا يحب الشجار، ولا يحب أيضاً أن يهين أخاه الأكبر بأي كلمة، وذهب لمقهى لتناول بعض الحلوى، وكمية هائلة من القهوة لإفراغ غضبه، وهناك رآها، شعر إن السماء أرسلت له منيرة لتكافئه على حسن تصرفه مع أخيه، كما شعر إنه يحب هذه المدينة الشمالية القريبة من الحدود، وبطيئة النمو، والصغيرة مقارنة بالعاصمة، والتي تجعل مصادفات جميلة مثل هذه ممكنة الحدوث.

حيته منيرة، وجلست برفقة صديقتها خلفه على بعد طاولتين.

تمهل في شرب كوب واحد من القهوة وتناول الحلوى، وكأن فمه بحجم فم عصفور ولد حديثاً لكي يطيل مدة بقاءه قربها قدر الإمكان.

سمعها تقول إنها ستذهب للهند لتوزيع ملابس على الفقراء، ومساعدتهم في بداية الشهر القادم، وستبقى هناك لمدة أسبوع.

وبعدها قرر أن يبحث عن منظمة خيرية ستذهب للهند، وبالفعل عثر على واحدة ستذهب للهند وفيتنام لمدة ستة أشهر، وتبرع لها بمليون، والتحق برحلتهم.

بالطبع هو لم يلتقي منيرة طوال ستة أشهر، ولم يذهب للقائها أصلاً، هي فقط أوحت له بفكرة جيدة.

****

يصل إلى شقته ويفتح الباب، يشعر بالارتياح للعودة للبيت، وذلك الشعور يدفئ قلبه، هذه المرة البيت لا يعني له أسقف وجدران فقط إنه نعمة عظيمة يتوجب عليه شكر الله عليها ليلاً ونهاراً، فقد رأى أناس يسعدون بتناول الجرذان، والحصول على صندوق كرتوني يعود لثلاجة أو مكيف للنوم فيه.

يُدخل السائق حقائبه ويستأذن للخروج، يطلب منه وائل أن يعود عند الحادية عشر صباحاً لاصطحابه لقصر العائلة، ثم يودعه.

تمر في باله ذكرى أخرى لأربع سنوات خلت...

> عندما أصبح نظري ضعيفاً نسيت أن ارتدي نظارة<

كان مخيم ربيعي للشباب الطائشين من الجنسين، وكان وائل هو المضيف، أراد أن يتباهى بماله وسيارته التي كلفته ما يزيد المليون، وشركته لتنسيق المناسبات، وإعداد المفاجئات السارة كالاعتراف مثلاً، وهذه الشركة وقبل أن يكون لها اسم تعاقدت مع ثلاث أفلام مهمة، وستوفر لهم أفكار المفاجئات والأحداث، وستتلقى بالمقابل ما تطمح له الشركات الناشئة بشدة 'الترويج والإعلان' بالإضافة للمال.

حل الليل، وأوقدت النار، وصدحت أنغام لموسيقى شعبية لها إيقاع واحد عريض مميز عظيم يحتضن مجموعة من الإيقاعات المنخفضة غير المميزة التي تتأرجح بلطف داخل الإيقاع العظيم، مع ذلك لم تكن موسيقى صاخبة أو مزعجة، كانت فقط موسيقى تلائم التلال والأشجار والبحيرة التي تقع على مقربة.

قدم وائل دعوة عشاء لمجموعة من المُخيمات اللواتي يطفحن جمالاً وعذوبة، فهو لم يشأ أن يضيع فرصة رائعة للتباهي مثل هذه.

أُعد الطعام بواسطة خدم أفارقة، وانتشر الحضور، كلٌ منشغل بتناول الطعام برفقة فتاة أو مجموعة فتيات عدا وائل الذي كان يشرب قهوة مثلجة، يتفقد الحضور، ويغازل الفتيات الجميلات، ويتفاخر بنفسه بطريقة لطيفة أمامهن أثناء ذلك.

رأى وائل فتاة تقف إلى جانب أنوار سيارته المضاءة، وكانت تحيط بها هالة لطيفة وجميلة تنير أكثر من تلك الأنوار المتباهية، لاحظ إنها لم تكن تشعر بارتياح بثوبها القصير مكشوف الكتف، فأقترب من سيارته وتناول منها شرشفاً، ووضعه على كتف تلك الفتاة فابتسمت، وهزت رأسها بلطف تعبيراً عن الشكر.

وائل: ما الذي أحضركِ إلى هنا؟ تبدين أفضل بكثير من ارتياد أماكن مشبوهة كهذه.

ضحكت، وقالت: أنت لا تحاول إغرائي بهذه الطريقة. أليس كذلك؟ (متفاجئ) لو كان شخص آخر لقلت إنه لعوب، لكنك شخص جيد بالرغم من كونك رجل "سيء" جداً.(تظهر عينيها الداكنتين واللامعتين والعميقتين مقدرتها في قراءة ما يدور في العقول) إمممم... دعني أخمن هناك فتاة هجرتك، وتريد أن تخبرها إنك تعيش حياةً طيبة، وتقضي وقتاً رائعاً (تضع أصبعها السبابة الأيسر على شفتها السفلى) والفتيات حولك كثيرات، وإنك لست ذلك الأحمق الذي كان يتبعها هنا وهناك طالباً رضاها بعد الآن...

وائل: من أنتِ؟

الفتاة: وعد طالبة تخصص علم النفس... إنه علم الفراسة الذي أهواه منذ الصغر فحسب... بما إن لون وجهك تغير لا بد إنني كنت محقة.

وائل: حسناً... علي أن أعترف الآن بكونك محقة.

وعد (غارق في التفكير): كان بسببها كل ذلك... بسببها إنني أصبحت مستقيماً، وبسببها لم أدخن، ولم أنخرط في إدمان المخدرات الذي كان منتشراً في وقتها... بسببها لم أشعر بأن عائلتي تهملني.

قاطعته وعد قائلة: لماذا تخبرني بذلك؟ هل أخطأتَ بحقها؟ (متأثرة)

جلس على مقدمة سيارته، وقال: لقد تركتها قبل أن أحاول الاعتراف لها خوفاً من إنها قد ترفضني... لم أكن شخصاً بارزاً، وكل جهودي لأجعلها تراني كانت تضيع هباءً.

وعد (ساخرة): تعال لي لكي أعالجك بعدما أكمل دراستي... فقط كن ناجح، وعاملها برفق، وكن رجولي معها، هل هذا صعب لهذه الدرجة؟... آه! وتخلى عن سيارتك هذه.

هل هذا صعب لهذه الدرجة؟ هل الاستقامة صعبة لهذه الدرجة؟ هل عليه أن يحمل منيرة الفتاة التي بالكاد تعرفه عبء فشله؟ هل يستحق حبه لها وذكرياته عنها أن تتحمل هذا العبء؟

كيف غابت عن باله هذه الحقائق؟ كيف له أن ينسى منيرة ويتجاهلها كأنها لم تكن؟

منذ تلك الحادثة، وهو لا يقود سيارة أبداً إذا لم تكن حالة اضطرارية لئلا يعود لعادته في مرافقة الفتيات.

****

يجلس على الكرسي تحت الماء الفاتر المناسب لشخص مرهق من عودة ذاكرته إليه.

يضع راحة كفيه على مقدمة رأسه، يزفر بقوة، متعب من عجزه عن التحلي بالشجاعة، يقف، ويوجه لكمة قوية للجدار، ثم يصرخ قائلاً: تحلى بالصبر، وبعض العقل أيها الرجل الناضج.

يخرج من الحمام ليرمي بجسده على سريره، ينظر إلى المرآة التي تقع إلى جانبه الأيسر، ويقول بابتسامة: كدتَ تصل أيها الوسيم.

ثم يستغرق في نوم عميق، وأحلام سعيدة.

يبدأ حلمه بجلوسه إلى جانبها، واعترافه لها، وخروجهما معاً، والكثير من اللحظات السعيدة، والأحضان الدافئة، ثم تنسل هاربة من يده، وتنجرف مع الإعصار إلى بحر عميق، يركض خلفها ليمسك يدها، ولكنه يستيقظ قبل أن يفعل شيء.

يتمتم قائلاً: إنه مجرد حلم.

ينظر إلى الساعة، فيرى إنها شارفت على الحادية عشرة، يغير ملابسه بسرعة، ويحمل هاتفه ليتصل بالسائق، ويخبره إنه ليس بحاجة له، وإنه سيفصله عن الخدمة، ولكنه يستحضر حقيقة إن السائق لا يمتلك مصدر رزق آخر، وهو يتحمل تكاليف دراسته الجامعية، ودراسة أخته الصغرى، فيتراجع عن فصله من الخدمة إلى وقت غير معلوم.

لكن لماذا يريد فصله؟ يتساءل... يفسر ذلك لنفسه بأنه لم يعد خائفاً من اصطحاب فتيات أخريات، فهو الآن لا يفكر إلا بها... ذلك التفسير لم ينل استحسانه، ولكن سيقبله في الوقت الحالي كونه التفسير الوحيد المتاح في عقله.

****

تمر السيارة من قرب مدرسة وائل القديمة، فيبتسم وائل في بادئ الأمر، ثم تزداد ابتسامته لتصبح ضحك لا يمكن إيقافه،

يسأل السائق مبتسماً: ما بك سيدي؟ يسعدني رؤيتك تضحك... لم يحدث هذا منذ مدة طويلة.

تقفز الدموع من عيني وائل من شدة الضحك، وبالكاد يتمتم: حقاً! (يسكت فجأة) حسناً إنها مدة طويلة منذ إن رأيتني أصلاً... لذلك قد يكون هذا صحيح، وقد يكون هذا خطأ... لذا لا تتصرف وكأنك

تعرفني جيداً... (يقرب وجهه الغاضب من كتف السائق، ويحكم قبضته على مسند ظهر مقعده) لأني أكره ذلك.

السائق (مرتعباً): حسناً آسف لن أكررها.

وائل (بنظرة متسائلة): لكنك لم تخطئ في شيء يا صاح... ما الذي عليك ألا تكرره؟ لست أفهم... (يبتسم) ألا يمكنك أن تعرف إنني كنت أمزح؟... اشتقت للمزاح معك يا صاح!

السائق: ألا ترى يا سيدي إنك تكون جدياً في أوقات المزاح أكثر من أوقات الجد؟ وهذا مربك جداً؟

وائل: حقاً؟ لم أنا هكذا؟ لكن ألا يجعل هذا الأمور أفضل؟

السائق: حسناً سيدي. ألا يعتمد هذا على تفسيرك للأشياء؟

وائل: صحيح. هل أخبرك بقصتي؟ أنا أثق بك، وقم بالحكم أنت...

السائق: تفضل سيدي.

كانت منيرة مهتمة بفريق كرة القدم المدرسي آنذاك، وغالباً ما تذهب لتشجيعهم أو إعداد الطعام لهم، وكان لها العديد من الصداقات مع فتيان الفريق.

كان وائل يريد رؤيتها، والتكلم معها بشدة مثل أولئك الفتيان، لذلك التحق بفريق كرة القدم المدرسي... كان في أول الأمر نحيفاً، مريضاً، ولكنه اتبع إرشادات معلم الرياضة، تناول طعام صحي، ومارس التمارين كما لو كان مجنون، وبعد ثلاث أشهر فقط أصبح يمتلك جسداً رياضياً صحياً، وألتحق بمباريات الفريق، ولم ينس خلال هذه الفترة دراسته، بل كان يختلس كل دقيقة ليدرس، ويحرز النجاح على أقل تقدير.

عائلته شعرت بالفخر لأنها تمتلك هذا الفرد المثابر، وأصدقاؤه راحوا يدعمونه بقوة ويتباهون لأنهم أصدقاء لهذا اللاعب الموهوب والمجد والشغوف الذي يثني عليه الجميع من الرياضيين والمعلمين والطلاب أنفسهم.

لقد أصبح قدوة يحتذى بها بعدما كان نكرة عديم النفع، وهذا كله خلال عام واحد فقط.

تحدث مع منيرة أحياناً، ولكن فشل في جعلها تفكر فيه، فشل في أن يكون صديق مقرب، وهذا ما أصابه بالإحباط قليلاً، ولكنه ملئ نفسه بعزيمة قوية، واستمر لأنه آمن بأنه لن يراها، ولن يسمع صوتها تهتف باسمه، وتشجعه إن لم يكن جزءاً من الفريق المدرسي.

في العام التالي حصل على دعوة من نادي وطني معروف لتبنيه، وتدريبه، وصنع لاعب شهير منه... استغرق الأمر كثير من التفكير ليعرف إنه لا يريد أن يكون بعيداً عنها، فما الفائدة من أن يكون مشهوراً وبعيداً عنها؟ ما فائدة الشهرة إذا لم تلفت له؟ دخل هذا المجال بسببها، ولن يدع شيء مثل الشهرة يبعده عنها.

****

وائل:هذه قصتي فما رأيك؟

السائق: ألا ترى إنك شخص شاعري جداً؟ وأنا يا سيدي لا ألومك لأنك شخص يمتلك كل شيء.

وائل (يضع جذعه على مسند الظهر لمقعده الخاص ويمسح وجهه به كقطة متألمة): عدا الحب... هل من الممكن إنها كانت ستلتفت لي إن كنت قد مضيت في ذاك الطريق؟

السائق (محبط): سيدي... سيدي (يتباكى غيظاً) هل من الممكن أن تشرح لي كيف ستلتفت لك، ولم يسبق لك يا سيدي أن عبرت عن مشاعرك لها؟

وائل (فخور بنفسه): لذلك أخطط لأعترف لها اليوم... مساءً.

يتصل وائل بأحدهم، ويمر كثير من الوقت، ولا أحد يرد... يفتح النافذة، ويفتح مكبر الصوت، ثم يرد صوت أنثوي قائلاً: مرحباً... كيف حالك؟ لقد عدت؟

وائل (سعيد للغاية): بالطبع فأنا شجرة نادرة لا تعيش إلا في أرض هذا الوطن.

الفتاة: ما أجمل الكلام يا أيها الوسيم! وما أصعب التصديق!

وائل (يضحك بسرور غامر): معك حق إنه كلام لذوي العقول النيرة فقط.

الفتاة (تتجاهل كلامه): ماذا تريد؟

وائل: رؤيتك وبسرعة، وبشكل ضروري.

الفتاة: مع إني مرتابة في كلامك، ولكن يسعدني أن ألتقي بك. متى ذلك؟

وائل: اليوم مساءً، سآتي لأصطحبك.

****

في السيارة...

الفتاة: ماذا هناك؟ لم أعرف سبب حضوري حتى الآن.

وائل: انتظري، وستعرفين.

****

في دار الأزياء...

وائل: سأقوم بشراء زي لك بمناسبة عيد ميلادك.

الفتاة: تبقى على عيد ميلادي تسعة أشهر.

وائل: إذن بمناسبة تفوقك؟

الفتاة (بوجه بارد وحقود كمصاصي الدماء): أنت تعلم إنني لست جيدة في الدراسة.

تمشي الفتاة الساخطة مبتعدة.

وائل (غاضب من نفسه): دانا... دانا... عمك آسف.

التفتت وهي مبتسمة، وقالت: حسناً نسيت كل شيء... كان عليك القول ببساطة إنك هنا لرؤية المصممة منيرة مجدداً... (ينعدم التعبير من وجهها) الجميع يعلم بأنك مغرم بها، وأنا واحدة من الجميع.

وائل: الحسنة الوحيدة في حياة والدك إنه أنجبك لهذه الدنيا. هل هي تعلم إذن؟

دانا: لا أعلم ربما تعلم ولكن تُكَذِبُ ذلك لأنها لم تحصل على دليل، وربما لا تعلم أصلاً... هكذا يجري الحال الشخص المحبوب لا يعلم ذلك أبداً.

وائل: وكيف تعلم فتاة في السادسة عشر كل ذلك؟

دانا (أحنت رأسها بخجل): من الدراما... لقد... أنا كنت محبوبة... فيما مضى.

وائل (متفهم): حسناً لنمضي في مهمتنا.

دانا: كم أجري؟ بما إنك تقتطع وقتاً ثميناً من حياتي... أريد أجراً... والدي منع عني المال.

وائل (مستاء): كم كنت أكره هذا عندما كنت صغيراً!... لكن استمعي لوالدك إنه سيفيدك.

دانا (تضحك): تتحدث كالناضجين الآن.

وائل (وكأنه فقد شهيته للحياة): لمَ تحتاجين المال؟ خمسين تكفي؟

دانا: هلا شعرت بالاطمئنان؟ فأنا لن أستخدم الأوراق النقدية لصنع طائرات ورقية... أجل تكفي... (تشابك كفيها، وتمط ذراعيها، وتنظر للسماء) من الجيد إن لي عم صغير مثلك.

وائل: لأني سأشتري لك فستان؟

دانا: لأنك ستعطيني أجري.

<الاعتراف الأول: هل لطريق قلبك أن يعانق أمنياتي؟>

تسأل دانا عن المصممة منيرة لأنها تود بشكل خاص أن تحصل على فستان من تصميمها.

تطلب منها موظفة الاستعلامات الانتظار.

تمسك دانا يد عمها المرتجفة والمتعرقة، وتنظر لوجهه الممتلئ بالثقة والمشاعر المتعبة التي دفنت في قلبه طويلاً، والشوق والحماس.

دانا (تبتسم، وتشع عينيها): أتمنى لك حظ موفق. أشعر إني والدتك.

وائل (يسحب أرنبة أنفها للأمام): لا تقلقي عمك سيفعلها بشكل جيد.

ترشدهم موظفة الاستعلامات إلى الغرفة التي تنتظرهم فيها المصممة

يدخل وائل بكثير من الهدوء والرزانة ممسكاً بيدي دانا، ويرحب بالمصممة منيرة بطريقة لائقة، تطلب منهما منيرة الجلوس، فيجلس بعيداً، ويترك لهما حرية المناقشة، هو لا يستطيع رفع عينه من على حبيبته المصممة منيرة، يراقب تحركاتها، وهو يقول "سأعترف اليوم. هذا هو الوقت. علي أن أعترف. علي أن أمتلك الشجاعة، فالشجاعة وحدها هي من تقرر إن كانت هذه اللحظات حاسمة أم لا،

وليس الوقت المناسب. ما دام هناك شجاعة، هناك فرص وأوقات مناسبة".

يرن هاتف دانا فتعتذر، وتخرج لبضع الوقت، تغمز لعمها، وتبتسم ابتسامة خبيثة.

تذهب المصممة منيرة لغرفة صغيرة، وتغلق الباب لتجلب بعض الأغراض.

هذه الغرفة الصغيرة لها باب مباشر على الغرفة التي يجلسون فيها.

يستجمع وائل شجاعته، ويقف متوجهاً بخطوات قد تكون واثقة لحد الغباء، ومتلهفة لحد الجنون، يعبر مسافة مترين، وإرهاق التذكر يجتاحه... إنه متعب للغاية.

يقف خلف الباب، ويقول بصعوبة: لمدة طويلة للغاية... أحببتك (يتنفس بصعوبة) رتبت كلمات جميلة تعبر عن مشاعري، ولكنها لا تخرج من فمي الآن بطريقة ملائمة، ونسيت الكثير منها... لكن ألا يمكن لطريق قلبك أن يعانق أمنيتي بالحصول على حبك واهتمامك؟ سأفعل المستحيل من أجلك، ولن أخيب ظنك، أنا واثق إنني أستطيع فعلها.

تدخل دانا برفقة المصممة منيرة من الباب الرئيسي، وهما تتحدثان وتضحكان، وهو بقلب يخفق لحد لا يستطيع أن يسمع أي شيء، ولا يتنفس، وعيناه تبرق من الدموع الحبيسة بداخلها.

تنظر له المصممة منيرة ببعض القلق قائلة: هل هناك خطب ما؟

دانا: عمي الوسيم!!! هل أنت بخير؟

وائل: ألم تكوني في الغرفة أيتها المصممة؟ كيف خرجتِ؟

المصممة منيرة (تبتسم لأنها حزرت ما يرمي إليه): آه تلك الغرفة تحتوي على باب مخفي... تصميم هذا البناء غريب بعض الشيء.

دانا (متفائلة): سنحاول مرة أخرى... عمي أليس لديك عمل مهم، وعليك الذهاب؟ أنا سأبقى قليلاً هنا.

المصممة منيرة: يمكنك الذهاب أنا سأعتني بها.

<الاعتراف الثاني: هل لك أن تطمئني قلبي؟>

يعرف وائل الآن بعد يومين من مراقبة المصممة منيرة بنفسه، إنها ترتاد متجر أغذية بالقرب من المبنى السكني حيث تقطن بنفس الوقت من اليوم بعد خروجها مباشرة من العمل عند الساعة الثامنة والنصف تقريباً.

في اليوم التالي...

يطلب وائل من السائق أن يركن سيارته بالقرب من المتجر عند الساعة الثامنة والربع، ويجلس فيها مراقباً من بعيد...

تصل المصممة منيرة، فيترجل من سيارته، ويدخل هناك، وكأن الأمر مصادفة، يأخذ أربع شطائر جاهزة، يدفع ثمنها، ويضعها في المايكروويف...

بينما ينتظر أن تسخن الشطائر تأتي المصممة منيرة، وتضع البيتزا الخاصة بها في المايكروويف المجاور، ينتهز الفرصة ليرسم على محياه وجهاً متعجباً، ثم يقول: يا لها من مصادفة جميلة!

تحيه منيرة بتحفظ، ومن ثم تدخل في صمت لا نهائي.

يشعر وائل بالغضب، ولكن حسناً لم يتوقع الكثير منها، وخصوصاً في الآونة الأخيرة للتحول الكبير الذي طرأ على شخصيتها، فقد تركت الشخصية المرحة والحيوية منذ زمن، وأصبحت امرأة ناضجة.

عليه أن يفتعل حديثاً ما... عليه أن يبدأ بالكلام وإلا ستضيع الفرصة مجدداً.

يشجع نفسه على التماسك والتكلم كما يتكلم بالعادة بلباقة ورزانة وخفة الظل التي اكتسبها من مجال عمله وحياته المتقلبة، وأخيراً بكل ثقة وبدون اضطراب، وبعد إن استعاد بعض من غرور الشباب الأثرياء يقول: كيف يسير العمل على الفستان الخاص بعزيزتي دانا؟

يصرخ عالياً في داخل عقله موبخاً نفسه قائلاً: أنت هنا لتعترف لأنك تعلم لو لم تعترف، لن تستطيع التقرب منها، ولكن ما دخل الفستان بالموضوع؟ توقعتك ستقول شيئاً أفضل مع كل هذه الثقة.

يرد على نفسه: سأتصرف كما أراه مناسباً فلا تتدخل... هلا أغلقت فمك؟ أنت تشوش ذهني.

يقول عقله: لننتظر ونرى إلى أي شيء ستوصلنا ثقتك ولباقتك... لكني لا أتوقع الكثير.

ترد منيرة: الفستان؟

يرن هاتف وائل... لقد وصلت رسالة في تطبيق ((كاكاو)) للمحادثة.

يفتح الهاتف وإذا بـ دانا ترسل له صورتها، وهي ترتدي الفستان الجديد، وقد أرسلت ثلاث رسائل بعده "عمي لقد استلمته من ثلاث أيام، ونسيت إخبارك... ما رأيك به؟... شكراً لك"

يتدارك وائل الوضع بإطلاع منيرة على رسالة دانا، ويقول: إنها طفلة لطيفة جداً ومراعية، بالرغم من إنها تنسى أشياء كثيرة مهمة.

تبتسم منيرة أخيراً، وتقول: حفظكما الله لبعضكما... إنها تتحدث طوال الوقت عنك، وعن علاقة الصداقة التي تجمعكما.

تخرج منيرة البيتزا الخاصة بها، وتهم بالمغادرة.

ينتاب وائل شعور بأنه وسيم جداً، وهو يقول: شكراً لك. ليحفظك الله، ويرعاك.

تبتسم منيرة بامتنان، وتتركه.

يأخذ علبتي حليب سادة، ويلتحق بـ منيرة التي تجلس على المقاعد المخصصة أمام واجهة المتجر الزجاجية، يجلس إلى جانبها، ويضع علبة الحليب أمامها على الطاولة المستطيلة الطويلة، ثم يقول: تفضلي، أنا شاكر لأنك صممتِ ثوباً يجعل من دانا سعيدة.

يشعر وائل بأنها غير مرتاحة بالتواجد بالقرب من غريب، فيتناول الطعام، ويبتعد عنها بمقدار مقعد، ويحدق في الشارع أثناء تناول الطعام، ثم يقول: هل ما زلت تفضلين الحليب الأبيض مع البيتزا؟

تلتفت له بارتياب، وتتمعن بوجهه، ثم تقول: آه! هل درست في مدرسة الغد الواعد؟

يخفي وائل سروره الهائل، ويقول: نعم. منذ المرحلة الأولى، وحتى التخرج.

بتعبير متسائل وحائر تقول: هل كنت في فريق كرة القدم؟

وائل يكشف عن ابتسامة عذبة وهو يومئ بالموافقة.

منيرة (تميل برأسها قليلا باتجاه وائل): هل يعقل إنك ذلك اللاعب المجد ذو المهارات العالية؟

وائل (يحك الطرف الخارجي من عينه اليمنى بإصبعه السبابة): آه... لم أكن بتلك المهارة.

تعدل منيرة جلستها، وتقول: لقد تغيرت جداً... كيف لم يخطر ببالي ولو لمرة واحدة إن السيد وائل رجل الأعمال المعروف هو نفسه اللاعب وائل؟

وائل: ربما لأني أصلع الآن... (يغلق عينيه بقوة، ويرفع مقدمة أنفه، ويمسح بيده على رأسه)

منيرة: لم أتعرف عليك حتى مع شعرك... ربما لأن مظهرك تحسن كثيراً... (تضحك)... آسفة أنا معتادة على التفكير بالمظاهر بحكم طبيعة عملي.

وائل: إنها الحقيقة فقط... لا تتأسفي.

يكمل الاثنان طعامهما، وهما ينظران للشارع.

بعد إكمال الطعام تقول منيرة، وهي تهم بالمغادرة: لماذا قد يترك شخص بموهبة مميزة مثلك حلمه؟

وائل (جاد): بسببك... (يحدق بها، فيرى نظرة خوف على وجهها، فيفتعل ضحكة) أمزح... حياتي العائلية معقدة بعض الشيء... همممم. عادةً ما يتخلى الإنسان عمّا يحبه إن كان هناك شيء يمنعه بشدة، أو إن كان يمتلك شيء يحبه أكثر.

منيرة: آسفة من أجلك... كان ذلك مؤسف جداً في وقتها، وانزعجت للغاية، ولكن اجتهادك وغضبي الذي تولد عند توقفك دفعاني للمثابرة لتحقيق أحلامي... شكراً.

يحني وائل رأسه، ويقول: أنا ممتن لشكرك... على الأقل لم تضع موهبتي تماماً.

ينهض بسرعة، ثم يجتازها ليخرج، وهو يشعر بمزيج من ألم الندم المفرط على ترك شيء رائع ومهم كـ "موهبته" التي كان من الممكن أن تجعله أقرب لها، وبهجة واضطراب لأنها لا تتذكره فقط بل كان هو ضوءاً لها في درب ما وصلت إليه.

<الاعتراف الثالث: هل لك أن تعيرني كتفك لهذا اليوم فقط؟>

تعرف دمية الآن من هي الفتاة التي يهتم بها وائل بعد تحقيقاتها المستفيضة، فتفكر في طريقة جيدة للانتقام، وتجدها.

تخطط لإقامة حفل شواء ضخم في إحدى تلك السهول الجميلة التي كان يقيم فيها وائل حفلاته، وتدعو كثير من الأصدقاء، ولم تنس كل من يستطيع تدمير كل شيء بالنسبة لـ وائل

(وعد): المحللة النفسية التي لا يقاومها وائل، ويعتبرها توأم روحه، وصديقته المقربة.

(رانيا): مساعدته المخلصة في العمل، والتي تحبه من طرف واحد.

(لانا): زميلة الدراسة الجامعية، تعمل معه أيضاً. متزوجة ولا زالت تحبه وغالباً ما تعانقه كلما كانا لوحدهما، وتخبره إنها تحبه، وهو يخبرها أن تهتم بزوجها مع هذا لا يدفع بها بعيداً، لأنه يقدر مشاعر الحب، ويعلم إنها لا تستطيع التحكم بتلك المشاعر.

المحامي بيلسان: صديق المصممة منيرة المفضل، والتي تعلم دمية جيداً إنها تستند عليه، وهو ينتظرها منذ أربع سنوات.

والأهم المصممة منيرة، وبطل الحفل وائل.

وهي البطلة المطلقة للحدث دمية: الزوجة المستقبلية لـ وائل مع مباركة عائلتيهما، وتشجيع الكل.

كل شيء يبدو، وكأنه يسير حسب خطتها حتى الآن.

يصل المدعون المشتركون في القصة التي تُحيكها اليوم تباعاً عدا المحامي والمصممة إلى مكان التجمع، ويصعدون إلى الحافلة المجهزة بوسائل ترفيه مترفة عدا دمية التي تختار اللحاق بهم بسيارتها الشخصية.

تصل دمية بعد عشر دقائق من وصول الحافلة، وترى إن الخدم قد أعدوا كل شيء، والموسيقى التي اختارتها تلائم الوضع بشكل جيد، تحي الجميع، وترد على امتنانهم المبالغ بابتسامة مشرقة.

تصل المصممة منيرة برفقة المحامي بيلسان، فيلتفت الجميع نحوها بنوع من التساؤل.

فتعرفهما دمية بأنهما أصدقاء العائلة، وأفضل مصممة تعرفها، وأفضل محامي تعاونت معه أسرتها.

تشعر بالسعادة لأن ملامح الذهول تغطي وجه وائل.

تقترب منه دمية، وتقول له: ما رأيك بحفلتي؟ هل سنعلن خطبتنا هنا؟... بما إن الجو ملائم جداً.

ينظر لها وائل بشيء من الاستخفاف، ويقول: عندما تكررين المزحة لا تصبح مضحكة.

ويسحب أرنبة انفها قليلاً للأمام، ويمسح أصابعه ببعضها قائلاً بتقزز: لا تضعي كل ما تملكين من مستحضرات تجميل دفعة واحدة على وجهك... سيدمر هذا الوجه الجميل.

تسحب دمية وائل من ياقته عندما ترى إن المصممة منيرة تقترب، فيدوس وائل على قدمها، ويدفع يدها، وهو غاضب ويقف، ثم يبتعد.

يتجول وائل في الأرجاء، ويحوم حول المصممة منيرة، ويحاول جذب انتباهها نحوه بطرقه الساحرة، إنه الآن الفتى العاشق، ولكنه ليس عديم الحيلة... ليس اليوم على الأقل، إنه جذاب وواثق إنها ستلاحظه... بالتأكيد لن يدع اليوم يمر دون أن يجعلها تلاحظه.

يجلس إلى جانب منيرة، ويبدأ حديث عن أيام المدرسة والمعلمين في أيام الماضي يقارنهم بمعلمين أيام الحاضر، فتترك نفسها للخوض في حديث شائق، وتذكر للماضي وهو يتابع حركة شفاهها، وتعاقب أنفاسها، وحركة عيونها السوداء التي تعكس الأنوار تماماً كالقمر، وتطاير شعرها الأسود، ويومئ بالموافقة على معظم ما تقوله، ويتمنى في داخله عودة الأيام الخالية ليكون طالب في المدرسة مجدداً.

تأتي وعد، وتجلس إلى جانب وائل، وتقول: ألستِ أنتِ هي تلك الفتاة التي لا يكف وائل عن التفكير بها؟

ينظر وائل إليها بنظرات غاضبة، وزاجرة، ولكنها تكمل قائلة: إنه يفكر بك منذ وقت طويل.

وائل: أعتقد إن علينا التحدث آنسة وعد... اتبعيني.

وعد: حسناً، وائل.

يقف بعيداً، فيقول لها، وهو يصرخ: لماذا فعلت ذلك؟

فتبتسم وعد بطريقة غامضة، وتشير إلى مكان ما خلفه، فيرى إن المكان قد أعد للاعتراف، يقفز ثم يعانقها، ويقول لها: متى فعلت كل هذا؟

وعد: لست وحدي... لديك صديقات جيدات بدل من التعاون مع دمية تعاونا مع صديقنا (تضرب على كتفه) عليك أن تحتضن منيرة في هذه اللحظة... وليس أنا... أسرع.

يأتي المحامي بيلسان من اللا مكان، ويقول: هلا أجلت اعترافك ليوم آخر لطفاً؟

وائل (مستخف): سأذكرك لسنا في محكمة الآن لأستمع لك...

بيلسان (بصدق): أنا اطلب منك ذلك بصفتي صديق لـ منيرة.

وائل (لا يريد أن يصدق إنه صادق): لماذا؟

بيلسان: اليوم كان صعباً جداً عليها، والآن تبدو مسترخية ومرتاحة، ولا أريد لمشاعرها أن تتعرض لصدمة قوية.

وائل (مرتاب بأمره): لمَ قد يكون الاعتراف أمر سيء لمشاعرها؟... هل يعقل إنك تحبها؟

بيلسان (متحدي): يبدو إنك الذي لا تحبها، ولا تعرف كيف تحبها، ومشاعرك الأنانية تلك ستجرحها فقط.

وعد: حسناً، سنؤجل الاعتراف اليوم... أعدك. يمكنك الذهاب، وإكمال سهرتك.

وائل (غاضب): لماذا؟

يغادر بيلسان

وعد: لأنك تريد ذلك... لأنك تعلم إنه كان مصيباً بأقواله كلها.

وائل: لا لم يكن مصيباً... إنه سيختطفها مني.أنت تعلمين!

وعد: أنت تعلم جيداً إنه ليس من هذا النوع... الرجال يفهمون بعض جيداً... ما بالك يا صاح؟ اعتدت عليك نبه فطن يلاحظ أدق التفاصيل.

<الاعتراف الرابع: لا تتردد... لا تستسلم... واعترف كرجل>

إنها الساعة السابعة مساءً بالفعل... النجوم تلمع في سماء نهاية الصيف الصافية، والطاولات المغطاة بالأقمشة المخرمة والمزركشة صُفت بشكل جميل، وحول المسبح وُضعت الشموع ذات الشكل الجذاب والرائحة العطرية الزكية، وفي الماء تسبح شموع مضاءة، وبط ورقي، وبتلات أزهار.

وموسيقى مبهجة تتسلق الأشجار والنبات وحتى الناس لتصل مباشرة لمناطق تحفيز السعادة في أدمغتهم، وتجعلهم يبتسمون.

لماذا هم هنا؟ في هذا اليوم؟ في هذا الفندق؟

إنه يوم مولد ذلك الشاب الثري وائل المعتز بنفسه والواثق، الواقف هناك كأنه طاووس زاهي الألوان.

يرحب بالضيوف القادمين بابتسامة مشعة تمنحه مظهراً في غاية الجاذبية، ولقد سمع عبارة " أنت تبدو أكثر وسامة اليوم " و "ماذا حصل لك؟" على وجه التحديد كثيراً هذا المساء وهذا ما زاد ثقته بنفسه، ومن ثم ابتسامته، وبالتالي وكأنها معادلة رياضية لا تقبل الخطأ سحره.

تدخل منيرة... فيتوقف كل إحساسه، ورغبته بالحركة، ويرتجف قلبه قليلاً حتى يغمض عينه لبرهة من الزمن ليحفظ صورتها البهية

والمنيرة في حنايا عقله جيداً، ويردد لنفسه "لا تتردد... لأنك ستفسد الأمر إن ترددت، لا تستسلم... لا يجدر بك الاستسلام بعدما علمت إنك تعني لها شيئاً، وحتى لو لم تكن تعني لها شيئاً... لا تستسلم لأنك لو استسلمت لن تعني لها أي شيء للأبد، وأعترف كرجل... ليخفق قلبها بقوة، ويصبح نسيانك صعباً عليها".

يفتح عينيه فإذا بما يحيطه يصبح أنقى، وأكثر وضوحاً، وقلبه الآن ليس متوتراً بما يكفي لصنع أحداث مؤسفة ومواقف محرجة.

يرسم الابتسامة على وجهه مجدداً، ويذهب بنفسه لتحية منيرة التي تبدو غير منسجمة مع الحفل، وعموم الوضع هنا، وهذا غريب بعض الشيء لكونها مصممة تتعامل مع الطبقة الثرية... ربما لأنها لا تذهب إلى الحفلات بالعادة أم لأنها خجولة؟

دانا تذهب إليها أولا وتحييها، فترد عليها منيرة ببشاشة ودفء، ثم يأتي وائل بعد أن تناديه دانا ويلقي التحية، ويشكرها على المجيء، فتقول: لا تحتاج لتشكرني... أنا هي الشخص السعيد لحضور حفل يوم مولد شخص محظوظ ورائع مثلك.

بعد رؤية رقبتها الدقيقة والناصعة، سيكون هذا الجواب الشيء الثاني الأكثر فتكاً هذه الليلة، ولا نعلم فقد يموت من فرط حلاوة الجملة على سمعه.

تتقبل اليوم منيرة كل محاولاته للتقرب منها بطبيعية، وكأنها ليست شيء ذو مغزى كبير، وتتجاوب معه بشكل لم يشهده قبلاً، إنها شخص متمنع، ولا يتقبل الغرباء بسهولة بالعادة.

يعتقد وائل إن اليوم هو اليوم الأكثر ملائمة للاعتراف بحبه لها، ولكنه ما زال ينتظر اللحظة المناسبة.

تسقط منيرة العصير على فستانها، فتهرع لتنظيفه، وينسحب وائل بهدوء ليلحق بها.

يمسك وائل يدها بقوة، ويسحبها بينما نوع من الدهشة يعلو وجهها، وأيضاً ابتسامة خفية في الزاوية اليسرى لشفتيها.

يأخذها لغرفة مزينة بالشموع والأضواء الصغيرة اللامعة كالنجوم والمرايا العاكسة، وبعض من صورها، وصوره في مراحل عمرية مختلفة، وعارض هائل يعرض تسجيلات قديمة لحفل تخرجها من المدرسة الذي أقامه فريق كرة القدم لها في الملعب، حيث كان وائل يقدم لها الزهور، وقد أعطى هدايا، وكثير من المال ليأخذ موقع الطالب الذي عين أصلاً لهذه المهمة، يعرض أيضاً صوراً لها وله في الجامعة، وفي العمل، ومع دانا، وأثناء حفل شواء دمية.

يُجلس وائل منيرة على الكرسي المخصص لها، ويردد في داخله "كرجل... كرجل" ينظر لنفسه في المرآة التي على يمينه أثناء

سيره، فيبتسم ويهزأ بنفسه هامساً "يا للعجب أنت رجل! فبالطبع ستتصرف كرجل"

يقف على المنصة الصغيرة المهيأة لذلك، ويقول: في الحقيقة قد تجدين هذا غريباً، معك حق... ولكن بالطبع هناك سبب لذلك... لقد أحببتك لمدة طويلة... دائماً كنت هناك في قلبي وفكري... أنا وائل لم أكن لأصبح مستقيماً وناجحاً، وكما ترين (بفخر) رائعاً لولا وجودك في حياتي... هناك الكثير من الكلام الذي أود أن أخبرك به، ولكن ضاع في مكان ما داخل جدران فمي... قولي لي ما تريدين أن تسمعي من الكلام الرقيق، وسأقوله لك بعد أن تقبلي قلبي ومشاعري نحوك...

يترك المنصة ليتقدم ببطء نحوها، ثم يقول: هل تتزوجين بي؟

تنظر منيرة إليه بمودة وإعجاب، ثم تقول: هذا... رائع! لقد تأثرت، أريد قبول مشاعرك هذه، ولكن للأسف لا أستطيع فأنا بالفعل مخطوبة... ماذا نفعل؟ (تبتسم بشفقة)

يسحب وائل كرسي، ويجلس عليه خائر القوى لم يكن مهيأ لرد كهذا، لم يفكر في إمكانية رفضها، فما بالك بخبر خطبتها؟

وائل (وهو يضحك بطريقة تشبه البكاء): لقد وصلت متأخراً كثيراً... اعتبري إن شيء لم يحدث... لا، تذكّري مشاعري جيداً... على الأقل

لن تضييع سنوات عمري التي كان حبك فيها نور دربي، ودافعي الأقوى سدى.

منيرة: أنت شخص درامي جداً...

وائل: كيف يمكنك السخرية من مشاعري؟... لم أعتقد إنك بهذه القسوة. (يحاول النهوض، ولكن قواه لا تساعده)

منيرة (تضحك): لم يتأخر الوقت بعد.

وائل: ماذا؟

منيرة: ما زال بإمكانك الاعتراف لمنيرة ... وجعلها تقع في حبك، أما أنا فلا.

وائل: لا أفهم صدقاً.

منيرة: أنا في الحقيقة بهيرة شقيقة منيرة التوأم، وأحياناً أحضر المناسبات الاجتماعية نيابة عن منيرة لأنها لا تفضلها.

وائل (يضحك بهستيرية ثم يعانقها): أحبك كثيراً... شكراً لك.

بهيرة: عفواً... دعني أقدم لك نصيحة لأني أحببتك أيضاً، واشعر إنك صادق جداً... لا تطلب الزواج من منيرة إلا بعد أن تمنحها الفرصة لتقبل مشاعرك وإلا ستهرب، ولا تعرض صورها لها لأنها قد تظن إنك مُطارد منحرف.

وائل: شكراً... أختي.

بهيرة: إذا كنت شاكراً لي فخصص لي سائقاً يعيدني للمنزل فوراً، لا أستطيع العودة بثوب متسخ كهذا... بسببك جفت البقعة، ولن تزول.

وائل: حسناً... حسناً. كل طلباتك اليوم أوامر... إنني في غاية السعادة الآن.

<دُم.. دُم.. دُم.. صوت قلبي>

في منزل العائلة...

يرن الجوال دررن... دررن إنه وبلا شك المنبه الذي يرن يومياً عند الساعة السادسة، لكن اليوم هو يوم السبت لا عمل لا مخططات، لم يرن إذن؟

يتقلب وائل على السرير، ثم ينهض ليغتسل، ويغير ثيابه، ويخرج...

يقرأ بعض صفحات الإنترنت حول القيادة والقائد الناجح.

يتصل بسائقه، ويخبره ألا يأتي اليوم.

يركب سيارته، ويختار مقعد السائق هذه المرة... لقد مر وقت طويل على ذلك.

يتجول في سيارته هنا وهناك... ثم يذهب لتناول وجبة إفطار شهي، ويحيي طاقم المطعم الذي يعرف معظمه، ويتعّرَف على المتبقي. يجرى حوارات ودية معهم، ويعلم إن عرس أخت النادل اليوم، فيخبره أنه سيحضر ليهنئها بنفسه، وأيضاً سيذهب لحفل مولد ابنة المحاسبة الأول اليوم أيضاً.

يخرج من المطعم وقد استرجع الكثير من طاقته التي يستمدها من حديثه مع الناس، ويشعر بأسف لأنه فوت بعض المناسبات المهمة أثناء محاولات اعترافه الفاشلة.

يستنتج بعد قليل من التفكير أثناء قيادة السيارة إنه لا يستطيع أن يحب بشكل جيد إن انقطع عن نشاطاته المفضلة، كما إنه لا يجيد أن يكون رومانسي عندما يحاول بجد، إنه شخص رومانسي للغاية عندما تأتي الأمور بطبيعية فقط.

يتجول في الأسواق بحثاً عن هدايا ملائمة وجيدة لحفلات اليوم، وهناك يحي أصدقاءه ومعارفه، ويحصل منهم على معاملة خاصة، ما يحبه في معارفه إن معظمهم لا يعاملونه على إنه ثري، وهم يخدمونه بلطف وصدق لأنه صديقهم المفضل، وهذا هو سبب راحته هنا بين هؤلاء الناس، إنه ينسى تلك الريشة فوق رأسه التي ولد معها.

يذهب لشقته ويغتسل، يتناول بعض الفواكه، وينام لنصف ساعة، يذهب للقاء صديقه في مقهى فاخر، يحتسيان شاي بالليمون ويتحدثان.

ثم يتركه للذهاب لعيد مولد الطفل... يبقى هناك لربع ساعة فقط يشهد إطفاء الشموع، وتناول الكعك، ويسلم هديته مع أمنياته الصادقة بعمر مديد للطفل.

يذهب لحديقة عامة، ويجلس هناك، يجري بعض الاتصالات المهمة، ثم يغادر.

يذهب لحفل الزفاف يحي الجميع، ويقدم تبريكاته والهدية، ويرحل.

يركب سيارته، يقودها بنوع من التهور، ثم يتوقف هناك بصمت أمام دار الأزياء الذي تعمل منيرة به.

قلبه يخفق بشدة، وقد منح عقله الأذن لقلبه ليخفق اليوم كيف ما يشاء، في العادة عقله يلومه بشدة على الخفقان السريع لأنه يعتقد إن الحب الناتج من العقل هو حب سليم، ويدوم لمدة طويلة، ولا يسبب خفقان قلب شديد.

تخرج منيرة من الدار...

يفتح زجاج نافذته، ويناديها، تقترب، فيطلب منها الركوب، تتخوف منيرة، وتحاول اختلاق أعذار لكنه يلح عليها.

تركب أخيراً...

يحدق في وجهها لفترة، ثم يقود بصمت، ويوصلها لمنزلها من دون أن يسألها عن العنوان، يشعر بالغضب غير المبرر لأنه لا يستطيع التحدث، والاعتراف مجدداً معه إنه لم يخطط لأي اعتراف اليوم.

منيرة (بخوف وحذر شديدين): كيف تعرف عنوان منزلي؟

وائل: آتي هنا غالباً... تعرفين إنها عادة من يحب كثيراً من طرف واحد.

منيرة: هل أنت مريض نفسي؟

وائل (يهدأ، وتبرق عيناه): يحق لك التفكير بهذا الشكل... فأنا لما يزيد عن ستة عشر سنة لم أمتلك الشجاعة لأخبرك بما أشعر... اليوم أطلب منك أن تسمعيني جيداً، وإذا كان كلامي غير ذو معنٍ لك أنا لن أزعجك مجدداً... لكي لا أحطم صورتي الجميلة في ذهنك. تلك الصورة التي أنا فخور وسعيد لأنك تحتفظين بها.

منيرة: هل حقاً أنت بخير؟

وائل: جداً لم أكن بخير في الآونة الأخير كما اليوم...

يمسك وائل معصمها، ويخرج ساعة يدوية ناعمة، ويضعها حول معصمها، فتسحب منيرة يدها بسرعة.

وائل: خلال ٢٤ ساعة القادمة أتمنى أن تفكري في إمكانية قبول مشاعري الصادقة، وإن حصل وإن قبلتيها سأخبرك بكل شيء بالتفصيل في مكان أنيق يليق بك... أعتذر على تصرفي الأهوج اليوم، وأعتذر عما سببته لك من قلق... تذكري دائماً إني سأكون رجلاً بإمكانك الاعتماد عليه والوثوق به، ولا تفكري بعمري فهذا لا

يهم... العمر هو وحدة قياس لأمر ما من ناحية واحدة فقط، وهذه الناحية ليست بتلك الأهمية.

منيرة: لسبب ما أشعر بأني متضررة... هناك شيء خاطئ... هناك خطب ما... لكني سأمنحك الفرصة في الأيام القادمة لتعبر عن مشاعرك بحرية، فأنا لا أعرفك، ولا يمكنني قبول مشاعرك بسرعة.

وائل: لحظة... تعنين إن بإمكاني رؤيتك متى ما أردت ومواعدتك، ولكن بدون أن نتقيد بواجبات المواعدة. هل هذا صحيح؟

منيرة (لم تتأثر): إن أحببت أن تفهمها بهذا الشكل أجل.

تلوح ابتسامة لطيفة على وجهها، ثم تودعه، وتذهب.

يضحك، ويرج رأسه، ثم يصرخ: أيها الأحمق لقد انتظرت لوقت طويل من أجل شيء بهذه السهولة... كان عليك فعلها منذ زمن... لقد قبلت... هل أنا أحلم؟... لقد كان أسوء اعتراف لأشهر صاحب شركة أحداث.تماماً كالطبيب الذي بحاجة لطبيب آخر للحصول على فحص... (يعاود الضحك) يا إلهي لقد قبلت... ما هذا؟

عادة كل ما يرغب به الإنسان بشدة يميل للاعتقاد بأنه صعب المنال... وفي الحقيقة قد يكون الإنسان لم يحاول بالشكل المطلوب ليحصل عليه.

"لا شيء يولّد السعادة كالاستعاضة عن القلق بالعمل" - ماترليك

الفصل الثاني: بعد الاعتراف

رعاية الشجرة

(١)

كانت ليلة غير قابلة للنسيان، تلك الليلة التي تلت اعترافه الناجح لـ منيرة.

لقد كان اعترافاً على درجة من السهولة لدرجة جرحت شيئاً ما في عقله، وأشعرته بالغباء إزاء مشاعره التي حماها، ورعاها لوقت طويل جداً.

إلا أن سرور الانتصار، ولوعة العاشقين، والليل الذي جرى ببطء، ومنعه من رؤية منيرة هو السبب الرئيسي في سلب النوم من عينه.

ما أن بدأت سماء الليل تتحول للون الرمادي حتى نهض من سريره، واغتسل ثم مارس بعض تمارين الاسترخاء لكي يسير الدم في وجهه، ويختفي شحوب الأرق، ثم وضع بعض المرطب المكون من غبار اللؤلؤ بشكل أساسي، وأفرغ زجاجة عطر

فاخر على صدره ليشعر بالانتعاش، وركب سيارته متوجهاً لأفضل مطعم يقدم وجبات فطور صحية وعضوية.

انتظر لنصف ساعة حتى تعد الوجبات الخمسة التي طلبها...

سأل النادلة إن كان يبدو وسيماً بما يكفي ليبهر فتاته، حدقت فيه النادلة، وقد بهتت، ثم قالت، وأمارات الحزن تعلو وجهها: كيف يمكنك أن تخبرني إنك عثرت على فتاتك اليوم؟ وأنت بهذه الوسامة؟ يصعب علي أن أدعك تذهب إليها.

قال وائل ممازحاً: هل تعرفينني؟

النادلة: بالطبع أنت السيد وائل. من لا يعرفك؟

وائل: بما إنك بهذه اللطف، هل تريدين أن أعرِّفك على أحد أصدقائي؟

النادلة: حقاً؟ اسمي لوزي... من اللوز... بسبب شكل عيني.

ضحك وائل، وقال: ومعرّفك على تطبيق KakaoTalk وLine ؟

النادلة: laoz١٢٣٤ هذا هو معرّفي.

أمسك وائل هاتفه، وأضافها، وهزَّ هاتفه مشيراً إنه سجل معرّفها، وهو يبتسم، ثم طلب منها أن تحضر ما طلبه بسرعة لأنه تأخر كثيراً.

(٢)

" لنتعارف "

وضع أربع وجبات فطور أمام باب الشقة التي تعيش فيها برفقة أسرتها، وأرفق معها ورقة زرقاء اللون مكتوب عليها "تناولي فطورك بشهية مع أسرتك العزيزة... ثم بعد ذلك تعالي إلي سأنتظرك في السيارة (∩_∩)"، ثم رن الجرس، وذهب.

وائل إنه ذلك الرجل الذي قد يفتقد الكثير من الشجاعة لينفذ كل ما يخطط له، ويعترف بشكل لائق، لكنه بشكل مؤكد أفضل رجل قد يصادفك بما يتعلق في العناية بقلوب النساء بلطف واحترام، والتمتع بمهارة فائقة لاختراق كل الحواجز التي يقمنها النساء حول أنفسهن بعدم تكلف وجرأة من دون أن يجرح كبريائهن أو يشعرهن بخوف أو عدم راحة.

بعد نصف ساعة نزلت منيرة بحذر، وترقب، وقليل من الخوف لسببين أولهما إنها الآن وبين ليلة وضحاها تواعد شخصاً مغرماً بها لسنين عدة وهي بالكاد تعرفه، وثانيهما إن ذلك الشخص قدوتها في الحياة... هل من الصواب المضي قدماً في هذا؟ هل ستدمر صورة قدوتها التي حافظت عليها مضيئة لوقت طويل؟

كان وائل يغط في النوم حين قرعت النافذة برفق، ثم راقبت وجهه الجميل، وشعرت بشيء غريب في نهاية بلعومها، ثم صعد بغرابة بعد ذلك لمؤخرة فمها، ثم نزل للقسم الأعلى من معدتها، كما سرت موجة كهرباء ساكنة خفيفة جداً تكاد لا تُحس في أنحاء جسدها... تساءلت إن كانت مريضة بسبب تبدل الجو؟

ثم تذكرت المحامي بيلسان، وقالت بكل أسف في نفسها "آسفة أيها المحامي بيلسان، لأنني أستخدم هذا الفتى لأنتزع منك اعترافاً أنتظره مذ عرفتك... ذلك الاعتراف الذي لم تمتلك جرأته (تشير لـ وائل) للبوح به بعد... آسفة سيد وائل".

قرعت الباب، بقوة فاستيقظ وائل وعيناه منتفختين، ابتسم، ولوح لها، ثم فتح النافذة، وطلب منها أن تركب ليوصلها.

منيرة: شكرا لك على الوجبات.

وائل: لا شكر على واجب.

منيرة: بالمناسبة كيف عرفت إننا أريع أشخاص؟

وائل: خمنت ذلك فحسب. من كم فرد تتألف أسرتك؟

منيرة: أمي، وأختي التوأم بهيرة، وأخي الصغير سهيل.

وائل: أين والدك؟

منيرة: توفي قبل سنتين.

وائل: أنا آسف.

منيرة: لا عليك... لمَ لم تتصل بي؟

وائل: لا أمتلك رقمك.

منيرة: وهل تعتقد إني سأصدق إنك لا تمتلك رقمي؟

وائل (مرتبك وخجل): لست مُطارداً!

كبحت منيرة ضحكتها، وقالت: آسفة. (قالت في نفسها: هذا الشخص الواثق يشعر بإحراج. يا له من شخص نقي!)

منيرة: كيف حالك اليوم؟

وائل: بخير.

ساد صمت خانق... شعر وائل بصعوبة شديدة في التفكير في موضوع للتحدث به مع فتاته الأولى رسمياً، وفي موعده الأول معها.

ثم فكر في أنه يريد شراء سترة دافئة لها، ولكن أي لون سيختار أي لون تحب؟ أي لون تكره...

وائل: بالتفكير في الأمر أنا لا أعرفك حقاً لذلك سأطرح عليك بعض الأسئلة لحين وصولنا لعملك.

منيرة: أعجبتني الفكرة! (وكأنها كانت تنتظر مبادرة منه لكسر الصمت المزعج)

(٣)

"أنـا سعيد حتى لو انتظرتك ١٠٠ عام"

ركن وائل سيارته بالقرب من دار الأزياء عند الساعة السابعة، مضت عشر دقائق، وعشر دقائق أخرى، وهكذا وببساطة مرت نصف ساعة، بعد ذلك ثم خرجت منيرة، وهي سعيدة جداً، شعر بابتهاج كبير، ثم بعد ذلك اختفى كل ابتهاجه عندما خرج المحامي بيلسان خلفها، ثم شد شعرها، فداست على قدمه، كانت تبدو مقربة منه إلى الحد الذي ظن إنها متزوجة به، وهذا ما جرحه بشدة.

رغم رغبته القوية بأن يخرج من السيارة، ويسحبها بقوة، ويلقن ذلك المحامي المتعجرف المتأنق، والممثل اللعوب المحترف درساً إلا إنه كبح نفسه وبقوة لكيلا يفعل شيئاً أحمقاً يندم عليه لاحقاً، وخصوصاً إن علاقتهما ليست من النوع الذي يفرض على الطرف الآخر قيوداً، وليست قوية بما يكفي لتتعافى من أي نوع من أنواع الخلاف. لقد جهل إن الخلاف هو ما سيجعل علاقة كتلك تنتقل للمستوى التالي.

بقلب وكبرياء محطمين حرك سيارته متوجهاً لمنزله ليفكر في طريقة ليجعلها تفكر به هو فقط... هو لم ينتظر كل تلك السنوات لكي يتنازل عنها لرجل آخر بالأخص ذلك المحامي الأحمق.

(٤)

انظري إلي فقط

لا يمكن للرجل المحب أن يخفي غيرته، ولكن بإمكانه أن يظهرها بأشكال مختلفة أسوأها الغضب.

يتقلب وائل على سريره عند منتصف الليل، والصورة المؤلمة التي رآها اليوم لا ترغب في أن تختفي من عقله، يمسك هاتفه، ويفكر مراراً هل عليه أن يتصل بها؟ ماذا سيقول؟ هل هناك نوع معين من الكلام يفترض أن يقوله؟ هذه هي المرة الأولى التي يواعد فيها، وهو لا يعرف ماذا عليه أن يفعل.

ثم يتصل بعدما يقرر إنه قد سلم كل شيء للتوفيق الوفير الذي ولد معه.

يتصل... لا جواب

يعاود الاتصال... فترد.

وائل: مرحباً! (بمرح و بهجة رغم إنه يرغب بإظهار غضبه وحزنه)

منيرة: كيف حالك؟

وائل: ما بال صوتك؟ هل كنتِ تبكين؟

منيرة (على وشك البكاء): من أنا؟ بالطبع لا.

وائل: هذا مطمئن.

منيرة: في الحقيقة أنا آسفة.

وائل (متعجب): أوه!

منيرة: لقد رأيتك اليوم مساءً.

وائل: أوه... علاقتنا ليست...

منيرة: مع هذا أشعر بالأسف، ولا أعرف لماذا.

وائل (بارتياح وعذوبة): ربما لأنك الفتاة الأولى والوحيدة في حياتي.

منيرة: ربما.

وائل: هذه هي المرة الأولى التي أتصل فيها بمحبوبتي...

منيرة: حقاً؟

وائل: أنا شخص بريء، ونقي جداً كما ترين.

منيرة (شاكرة لحسن تصرفه): هل لديك أفكار معينة عن أول حديث بالهاتف مع محبوبتك؟

وائل: لا، لكن أريد أن تقطعي لي وعداً.

منيرة (دهشت): ما هو؟

وائل: أنظري إلي فقط... لا أشعر أن بإمكاني الحصول على قلبك هكذا.

منيرة (تضحك بمحبة، وهي تشعر بشيء من الشفقة الصادقة نحوه): أنت تذكرني بأخي.

وائل: لماذا؟ أكره ذلك.

منيرة: أنت تقول كل ما يدور في رأسك، من دون أن تفكر.

وائل: سأغلق الخط.

منيرة (منزعجة): أنتظر... أنا من ستغلق الخط...

وائل: لنتجاوز هذا الموضوع.

منيرة: حسناً. تصبح على خير لدي عمل في الغد... لا تحضر لي الفطور, لا تنتظرني صباحاً.

وائل: حسناً. لا بأس. لا أحب أن أقيدك.

منيرة: يعجبني إنك اقتنعت.

وائل: أنا شخص متحضر. تصبحين على خير.

منيرة: بالمناسبة لا تحلم بي أيضاً أكره أن أظهر في أحلام الآخرين.

وائل: لا تظهري لي أنت... لا تزوريني في منامي...

(٥)

في ذلك اليوم الجميل

إنه يوم جميل آخر...

وفي الأيام الجميلة غالباً ما تحدث أمور جيدة، هذا إذا ما كنت بطلاً في إحدى الأفلام أو الدراما،

لكن في الحقيقة لسبب ما أنت تبكي طويلاً، قد يكون ذلك السبب موقف سيء، أو شوق لا يمكن مقاومته أو التعبير عنه، أو لأنك لا تستطيع وصف جمال هذا اليوم بالكلمات.

تحتضن دموعك، وتسير بابتسامة ساطعة... هذا ما يحدث في الأيام الجميلة.

حدث شجار بين كامل ووائل، ولكن الذي جعل الأمر أكثر سوءاً هذه المرة هو إن الوالد ساند كامل، وقال "أشعر بالأسف لأن ولدي الأصغر لم يكن محط فخر كـ كامل أو نائل"

تسارعت نبضات وائل، غلى الدم في عروقه، ولكنه وعد نفسه أن يكون الشخص الأفضل مهما كان الوضع سيئاً، دائماً سيتصرف بنبل.

لنتعرف عن نائل الفتى الأكثر جاذبية وذكاء بين الأخوة الثلاثة، أستاذ جامعي، متزوج، يكبر وائل بخمس سنوات، كان شخص منبوذ من قبل أسرته لهدوئه وتحفظه، ولكنه سرعان ما أصبح محط احترامهم وتوسلاتهم... نعم توسلاتهم فقد أصبحوا يتوسلون له لمدة طويلة ليحضر حفلات الشركة، وبهذا يصبح المساهمون أكثر ثقة بالعائلة.

نائل مخيف بعض الشيء، ولكنه لا يقوم بإيذاء من لا يؤذيه، بالأخص وائل لأنه يراه الفرع الصالح والمجتهد في هذه الأسرة المتداعية، وأحياناً كان يدعمه بطرق خفية.

عند الساعة الثانية ظهراً لم يملك وائل أي مكان يمكنه الذهاب إليه لإخفاء الشرخ الذي أصابه، والبكاء في يوم جميل كهذا...

إنه ليس وقت مبكر لينسى كل ما حصل ويواصل، وليس بالوقت المتأخر بحيث يتوقع قدوم الظلام ليختفي في إحدى الزوايا، ويشرع بالبكاء، ثم ينام ليستيقظ وكأن شيء لم يحدث.

في هذه الأوقات على الرجل أن يكون متماسكاً من أجل عمله، مظهره، وفتاته.

يعيش الرجل مع قناعات مثل هذه، ويتحمل الجوانب الجيدة والسيئة منها، من الجوانب الجيدة إن فتاته ستثق به، وتقع في

حبه، وتعتمد عليه خاصة إن كانت علاقتهما في بدايتها، وسيحتفظ بصورة قوية أمام زملاء العمل والأصدقاء، بينما من الجوانب السيئة إنه لن يستطيع إيجاد مكان ليبكي فيه كأي شخص جرح جرحاً أليماً من عائلته التي يحترمها، ويعمل جاهداً لنيل رضاها عند الساعة الثانية ظهراً.

لذلك يقرر الذهاب للعمل كأي رجل مجروح يريد أن ينسى ألمه عند الساعة الثانية ظهراً، لا أحد في المكتب كما هو متوقع ـ الموظفون إما في مواقع العمل أو في استراحة لتناول الغداء ـ، حينها ينهمك في العمل.

يجري بعض الاتصالات المؤجلة، ثم بعد ذلك يدون بعض أفكار الأحداث التي تخطر في رأسه، ويراجع بعض الاقتراحات التي تركها المبتكرون.

كما لو إن الوقت توقف عن الساعة الثانية ظهراً متآمراً ضد وائل... كما لو إن اليوم الجميل يمر إلى جانبه يلقي التحية، ويجتازه بغرور ليبحث عن شخص آخر أكثر ملائمة لاستقباله.

هكذا مرت أربع ساعات جلس فيها في مكتبه وحيداً، ثم ركب سيارته متوجهاً لمنزل السائق الذي صرفه قبل فترة وجيزة.

أمام منزل السائق...

السائق (سعيد): مرحباً بك سيدي.

وائل: مصطفى لا تعش هكذا. لم أعد سيدك بعد الآن.

السائق: سيدي عندما تكون متضايقاً لا تأتي لزيارتي... قم بزيارة صديقيك مازن أو عدنان... آه! صحيح... هناك أيضاً الآنسة الجميلة.

وائل: من سمح لك بأن تناديها "الجميلة"؟ ثم إنني أحتاج لتوصيل فقط... لم آتي لأستمع لمحاضرتك المبجلة.

السائق: سيدي. بفضل العمل الذي رشحتني لصاحبه لم أعد أملك كثيراً من الوقت...

وائل: حسناً... حسناً... أنا آسف.

السائق: كسرت خاطري يا سيدي... حسناً سأوصلك للمرة الأخيرة...

وائل (يضحك): شكراً لا أريد... استخدم وقتك الفائض في لمّ خاطرك الذي تَكَسر للتو.

استمع لبعض الموسيقى أثناء تناول رقائق البطاطا مستلقياً على المقاعد الخلفية لسيارته، ثم بعد ذلك لعب ألعاباً إلكترونية.

لسبب ما لا يفضل الرجال أن يبكوا لكي لا يظهروا كأطفال، ولكنهم لا يمانعون بأن يتصرفوا بطريقة صبيانية غير مفهومة تتلف الكبد والقلب، بإمكان النساء تفهم رجل يبكي أو رجل صابر أو محبط أو أياً كانت حالته، لكن لا يمكنها أن تتفهم رجل يتصرف وكأنه طفل في العاشرة، خاصة وإن طال الأمر، ففي المدة القصيرة قد تعزي سبب عدم فهمها لتصرفاته الصبيانية إلى إنها لا تفهم ما يفكر فيه الرجال، أو إنها لا تفهم شخصيته، وتتحمل ذلك بصدر رحب، ولكن قل لي لماذا عليها أن تتفهم رجل يتصرف كل الوقت بصبيانية فقط لأنه يشعر بالذنب أو الألم؟ أليس هو بشر وهي بشر أيضاً؟ متى يأتي دوره ليفهمها؟ ألا يوجد معايير أخلاقية وإنسانية يشترك فيها جميع البشر؟ أعتقد إن هذا ما فكر فيه وائل حين ذهب لأقرب حمامات عمومية، وغسل وجهه، وقال: ليس عليها أن تتحمل مشاكلي.

ليس مجدداً وائل، وُفقِت أينما حللت لا تستخدم عقلك مجدداً، كل فكرة من أفكارك العظيمة تجعل الوضع أسوء. أي أحمق قد أخبرك إن الفتيات الجيدات مثل منيرة قد يستأن من مشاركتك

لمشاكلك؟ لماذا لا تريد أن تمنحها فرصة مساندتك لتصبحا أقرب؟ سأجعل هذا يمر اليوم.

وائل: بالطبع ستجعلين هذا يمر... من سيكمل لك قصتك أيتها العظيمة التي تعتقد إنها تعرف كل شيء؟

الكاتبة: قد لا أعرف أي شيء عن الآخرين، ولكن بالتأكيد أعرف كل شيء تقريباً عن ما قد قررت سلفاً الكتابة عنه... تباً لك! أتلفت المشهد.

وائل: حسناً... أكمليه أنت تتحدثين كثيراً وتؤخرين لقائي بها... أكاد أجن منذ أن حبست في الساعة الثانية ظهراً.

****

إلى أين وصلنا؟

يعتقد وائل إن رؤية منيرة ستخفف عنه كل آلام هذا اليوم الكئيب الخانق، لذلك قاد سيارته لدار الأزياء، ولكنه عوض النزول ورؤيتها، نام متكئاً على المقود.

رأى في المنام حلماً غريباً كان هو فيه من الحراس الملكيين، وكانت منيرة هي الأميرة، وكان ذلك في حفل زفافها لساحر له أجنحة بيضاء كبيرة، وكلما أراد أن يقترب منها، ويتحدث معها، يُمنع بقوى خارقة... هذه القوى الخارقة تسببت في قتل حراس

آخرين، وكانت تخبره مراراً إنه شخص وضيع وكل محاولاته للاقتراب منها ستجلب الدمار للجميع.

تقرع الطبول ليبدأ الحفل الأسطوري... ويزداد القرع كأن الأرض تتفجر من تحت قدميه، والسماء تتساقط فوق رأسه... ثم فتح عينيه فَزِعاً... تنفس الصعداء... لقد كان حلماً؟ ما أروع تلك الحقيقة!

لكن القرع أستمر... إنه قادم من جهة اليسار... أدار وجهه، وكأنه رجل آلي قديم صدئ... إنها منيرة تقرع على النافذة...

فتح النافذة بسرعة قائلا: يا إلهي! هذه أنتِ؟ كم أنا سعيد برؤيتك!

منيرة: لا بد إن قلة الأوكسجين في الداخل تسببت لك بكابوس مزعج.

وائل (يبتسم): أعتقد هذا.

منيرة: لماذا لم تتصل بي فور وصولك؟

وائل (بهدوء، وبالجاذبية العالية التي تميزه): أردت رؤيتك فقط.

منيرة (تصنع وجهاً متسائلاً متذمراً): أخرج من هذه السيارة... لنمشي قليلاً... يبدو إنك تعاني من نقص فظيع في الأوكسجين... عقلك معتل بالكامل.

أرادت القول"يا أحمق إن كنت تريد رؤيتي اتصل... ماذا لو ذهبت للمنزل ولم ترني؟"

وائل (سعيد للغاية): حسناً.

سارا معاً جنباً لجنب... أراد أن يمسك يدها مراراً أثناء السير، ولكن ذلك كان أبكر بكثير من الموعد المفترض له عادة... أما هي فانتظرت أن يتحلى بالشجاعة، ويقدم على الإمساك بيدها لتبدأ بالإعجاب به، فهي تجده حالياً شخص يستحق كل الاحترام وخالص الود، ولكنها لم تتمكن من رؤيته كرجل بعد، ثم إنهما ليسا مراهقين يحتاجان وقت طويل للتقرب لبعض... هو بالفعل اعترف لها بمشاعره، وهي منحته فرصة لتقبل مشاعره. أليس عليه الآن أن يقوم بشيء مؤثر؟ هذه هي مساوئ مواعدة شخص تكونين الأولى والوحيدة في حياته... كل ما لديه هو بضع نظريات وافتراضات تعلمها من الأفلام الغبية.

وصلا لموقف الحافلات...

ثم قالت: لنركب الحافلة القادمة.

وائل، وقد بان عليه الارتباك: لكني لا أعرف كيف يمكن أن تُركب الحافلة... لم أركب واحدة في حياتي.

منيرة (تضحك): حقاً؟

وائل (يضحك هو الآخر): نعم.

منيرة: أوووووووووووووووووووووه... إذن سنجرب اليوم شيء جديد.

وصلت الحافلة...

منيرة: عادة تكون مزدحمة، ويجب أن نقف، ولكن في هذا الوقت الجميع في منازلهم نائمون، أو يشاهدون التلفاز بينما يتناولون العشاء.

يصعدان سوياً، ويجلسان بجانب بعض.

ربتت فتاة كانت تجلس خلفهما مباشرة على كتف وائل وحيته، وقالت: كيف حالك أيها الوسيم؟

وائل (مندفع): بخير أيتها الجميلة... وأنتِ؟

الفتاة، وهي تضحك متظاهرة بالخجل: تحسنت شفاهي بعد قُبلتنا.

وائل (نسي وجود منيرة): أهتمي بها جيداً.

وضعت منيرة السماعة في أذن وائل اليسرى، وأخرى في أذنها اليمنى، وشغلت أغنية "لا أحتاج لرجل"... تنبه وائل لوجودها... كيف له أن ينساها؟ وكيف سيفسر الأمر؟ لقد قال بضع جمل عديمة الفائدة.

التفت نحوها، وإذا بها تضحك، التقت أعينهما للمرة الأولى...

في الحياة عادة ما تلتقي عيناك بعيون كل من حولك، وبالأخص أولئك الذين لا تحبهم، ولكن ولبعض الأسباب التي لا يمكن إدراكها وتفسيرها يصعب أن تلتقي عيناك بعيون من تحبهم، ويجب أن تدعو طويلاً من أجل ذلك.

بينما شعر وائل بالسعادة، وراح يتأمل عينيها شعرت منيرة ببعض التوتر، واختفت ضحكتها، عندها سحب وائل رأس السماعة من هاتفها، وأدخلها في هاتفه، وشغل أغنية "متى ما اتصلت"، ورفع ذقنها نحوه باستخدام ظهر أصبعه السبابة والإبهام، وقال "أنظري إلي... لا تبدو الأمور دائماً كما هي عليه في الحقيقة"، وأشار بعينه للمقعد القابع خلفهم، ثم غمز بعينه اليسرى، وسحب أرنبة أنفها للأمام.

شعر بالخجل من هذه الحركة التي لا يفعلها إلا مع المقربين منه جداً، وأشاح بنظره بعيداً عنها.

أما هي فشعرت وكأن قلبها كاد أن يتوقف، وهذا أجج نوع من الغضب غير المبرر في داخلها، ولكن مع ذلك أحبت الوضع كله جداً بشكل غير مبرر أيضاً لذلك امتصت كل تلك اللحظة ومشاعرها ووضعتها بعيداً لتمنح نفسها معه نزهة جميلة.

ما إن توقفت الحافلة حتى نزلا عند سوق شعبية كانت السوق الشعبية حية تضج بالنشاط... الباعة المتجولون... طعام

الشوارع... وحتى المتسولون يوهمون المرء بأن هناك احتفالاً ما.

وائل مر من هنا بضع مرات سابقاً، ولكن هذه المرة الأولى التي يأتي فيها ليلاً في يوم جميل كهذا.

شعر وائل بأن روحه خفيفة وسعيدة هنا، وإنه متأسف لأنه لا يعرف هذا المكان جيداً، وفجأة قاطعت منيرة أفكاره، وناولته بطاطا مالحة مقلية على شكل لولبي، وموضوعة بالسيخ.

منيرة: أتمنى أن تشعر بالراحة لي لتخبرني عمّا يزعجك لهذه الدرجة... ربما قد لا نصبح أحباء لكن بإمكاننا أن نصبح أصدقاء يتبادلون القُبل. (ضحكت، ثم أسرعت بالمشي)

وائل: انتظري لقد كان ذلك مشهداً في مسرحية جامعية، وكان علي حملها، ولكني أسقطتها، وسقطتُ عليها، فتصادمت شفاهنا، وأصيبت هي بضرر بالغ.

منيرة (تضحك): لا يهم ... ما علاقتي أنا؟ احتفظ بقصتك لنفسك.

وائل: هذه حقيقة.

منيرة (بدلال): وما شأني؟

في تلك الليلة عادا بعد الحادية عشر ليلاً للمنزل، وقد تناولا كل أنواع الطعام حتى كاد أن يغمى عليهما من شدة التخمة.

(٦)

نحن فقط

وائل رجل عبقري في مجاله لا يمكن أن ينافس بسهولة، ولديه ما لدى العباقرة من تغير مفاجئ في المزاج، وانقطاعات غير مبررة عن العالم دون إعلام مسبق.

أغلق وائل هاتفه، وحبس نفسه في مكتبه ليخرج ببضع أفكار أحداث جديدة يعرضها على المخرجين الذين سيقابلهم بعد أسبوع في العاصمة...

غاب يومين كاملين مما جعل منيرة تتساءل إذا كانت هذا الفتى يتسلى برفقتها، وإنه ليس صادق، هل أخطأت حين منحته فرصة لتقبل مشاعره؟ هل هو من قبيل الصدفة مع تلك الشفاه المجروحة؟ هل حدث له شيء؟ هل كانت سيئة لدرجة جعلته يتراجع عن فكرة الخوض في تجربة مواعدة معها؟ " لا لستُ سيئة... إنني شخص محبوب... لا تسيئي لنفسك أيتها الحمقاء بسبب رجل بالكاد تعرفينه" صرخت على نفسها في المرآة.

لماذا لم يرسل رسالة في kakaoTalk ؟ لماذا لم يتصل؟ هل هو محموم لدرجة تمنعه من الكلام والكتابة؟

"لماذا تبررين الأشياء السيئة الصادرة عن رجل أسوء؟ أنت تحبطينني... كفي عن التفكير به فقط " صرخت مرة أخرى موبخة نفسها.

في فجر اليوم الثالث والذي صادف يوم الجمعة، انتبه وائل على مرور كثير من الوقت دون أن يتصل بـ منيرة، وفكر في إنها الآن قد تكون قلقة للغاية، وفي غاية الشوق لرؤيته، وستقفز بين أحضانه حين تراه وهذا ما يرغب فيه بشدة، والأهم ستكون فخورة عندما تسمعه يشرح ما ابتكره حين كان يفكر فيها، وكيف ألهمته.

التقط صورة لنفسه، وأرسلها لها، وكتب...

هذا أنا! بعد عمل متواصل لوقت طويل... أنا جائع لم أتناول شيء منذ مدة... هل لك مرافقتي لتناول الفطور؟

بعد عشر دقائق...

منيرة: لكن من أنت؟

وائل: هذا أنا وائل.

منيرة: تباً لك إذن... أنظر إلى الساعة.

وائل: آه... لم أنتبه.

منيرة: كالعادة.. هذا متوقع.. لا شيء جديد.

وائل: أنت غاضبة؟

منيرة: لا منذ متى ونحن في علاقة تسمح لي بأن أغضب منك؟

وائل: أين أنت الآن؟

منيرة: وأين سأكون فجر يوم الجمعة؟

وائل: هل مر ثلاث أيام على اعتزالي الحياة حقاً؟ انتظري أنا قادم.

منيرة: أين؟ ماذا؟

....

لا رد

ذهب وائل لشقته، وأغتسل، وارتدى ملابس رياضية، وذهب على وجه السرعة لرؤية منيرة.

وقف أمام المبنى الذي يحوي شقتها، وأرسل لها رسالة قال فيها:

إذا لم تفتحي لي الباب في غضون خمس دقائق سأرن الجرس حتى تستيقظ كل أسرتك.

منيرة: لا أريد أن أفتح لك.

وائل: لماذا؟ لا تقولي غاضبة؟ فنحن لا تربطنا ذلك النوع من العلاقة.

منيرة: وهل يحتاج عدم رغبتي لرؤيتك سبب ما؟

وائل: وهل تحتاج رؤيتي لسبب ما؟ نحن في علاقة تسمح لنا برؤية بعضنا بدون أسباب.

منيرة: أنت مبهر *تصفيق*

وائل: لا داعي، ستوقظين أهلك. (يشعر بنشوة الانتصار)

منيرة: لا أضع زينة وجه. هل هذا سبب كاف؟

وائل: أنت جميلة حتى بدونه... وأنت بالطبع لا يهمك إن كنت جميلة أم لا بعيني لذلك هذه حجة باطلة.

صوت القفل... ثم فُتح باب مدخل العمارة، ركض نحو المصعد، واللهفة تملؤه، وحين خرج منه رأى فتاة لطيفة وجذابة بوجه طبيعي، ليس مثالي ولكنه جذاب لحد يفوق الوصف، تسند ظهرها إلى باب الشقة، شعر وائل بشعور برغبة غريبة لوضعها في جيبه، وأخذها أينما ذهب.

وائل (مبتسم بجاذبية): يا إلهي! ما هذا القبح؟

ركلته وصفعته، فضحك، وقال: أنت الآن أكثر قبحاً.

منيرة: لننفصل... لا أريد أن أحملك عبء رؤية فتاة قبيحة.

اقترب منها، وقال: أيتها القبيحة... أنت كبيرة بالقدر الذي يجعلك تميزين إن كنت أريد تحمل هذا العبء أم لا؟

منيرة: هل تقول إنني حمقاء؟

وائل: لنتناول الفطور سوياً.

منيرة: لا أرغب بذلك.

وائل: هل أدخل لمنزلك، وأصنع بعض الضجة لتوافقي؟

منيرة: لن أوافق مهما حدث.

وائل: دعيني أرى.

حملها وائل، وقال: ستأتين.

حين حملها وائل شعر بقلبها ينبض بقوة، فقال بخبث: إذن لستُ الوحيد الذي ينبض قلبه كإعصار تسونامي؟ قلبك يحدث ضجيجاً عالياً أيضاً.

منيرة: هذا لأني حملت عنوة، ورأسي مقلوب الآن.

وائل: يا لك من كاذبة! لو كان كما تقولين فقط لكان نبضك قوي، ومشتت وبقوى مختلفة، ولكن حين يعجب المرء بأحد تكون نبضاته كلها بنفس القوة وليست بتلك السرعة.

منيرة: لديك قدرة رائعة على التحدث في كل وقت ومهما كانت الظروف.

وائل: أنت صعبة الإرضاء. ألا يحب النساء الرجال اللذين يتحدثون؟

منيرة: يستمعون... ويتحدثون بأشياء لا تجلب مرض عضال للمستمعين.

وصلا للسيارة... فتح الباب، ووضعها برفق على الكرسي، وقام بتعديل شعرها، واتجه نحو مقعد السائق... كان وجهه أحمر اللون، وبالكاد يتنفس.

منيرة: آسفة تبدو مرهق للغاية.

وائل: لا، لست كذلك.

منيرة: ها هو ذا الكبرياء عديم الفائدة الذي أكرهه، تحلى بالكرامة... أما الكبرياء فأرمه في أقرب سلة قمامة.

وائل:الأكبر عليه أن يكون قدوة... أرمي كبرياؤك في سلة القمامة، وسأرمي كبريائي في جهنم.

منيرة: أنت لا تكف عن الرد بصورة مذهلة!

وائل: وأنت تحاضريني دائماً.

منيرة: لأنك بريء، ولم تواعد فتيات.

وائل: هل هو سيء جداً أنني كنت أفكر بك فقط؟

شغلت منيرة الإذاعة لتسكته فقد نفذ صبرها، وحينها انبعثت موسيقى عذبة كأنها عطر ملئ المكان بسحر خاص، نظرا لعيني بعضهما، وقالا "إنها المفضلة لدي" تماماً في نفس الوقت...

قال وائل: تلك اللحظات التي ننطق فيها نفس الكلام معاً يخيل لي إنها قبلة خجولة.

توقفت منيرة عن التنفس، واضطربت للغاية، ثم فتحت النافذة، وقالت وهي تفتعل الابتهاج افتعالاً: الجو رائع... الشتاء جميل.

أراد وائل أن يخبرها بأن الجو بارد للغاية، ولكنه قرر أن يصمت هذه المرة، فقد قال كلام يصعب قوله وتلقيه قبل لحظات.

أوقف وائل السيارة بالقرب من مطعم، ثم طلب من منيرة النزول لتناول الطعام، فقالت: لنذهب لمنزلك أولاً (تجمد وجه وائل، وتحول للون الأحمر، وأومئ ببطء وكأنه رجل آلي) ثم أردفت قائلة: لا أستطيع النزول بهذه الملابس.

وائل (مرتبك): أوه... هل تريدين أن نشتري ملابس؟

منيرة: لا بد إن لديك بعض الملابس النظيفة التي لو نسقتها بشكل جيد ستكون ملائمة... أنا مصممة بعد كل شيء.

وائل (غاضب): لنشتري ملابس!

منيرة: افعل ما يحلو لك... هل هناك متجر ملابس مفتوح في هذا الوقت؟ لماذا انت غاضب؟

وائل: يوجد. وإن لم يكن يمكنني أن أفتحه إذا شئتُ.

اتصل بأحدهم وبعد خمس دقائق ركن السيارة إلى جانب الطريق، وقام بفتح موقع المتجر، وطلب منها اختيار ما تشاء من الملابس.

اختارت بعض الملابس التي تحتاجها على مضض، ثم قال: حين نصل إلى شقتي ستكون موجودة.

منيرة: أريد تفسيراً لفعلك هذا... أنا لستُ شخصاً ينبهر بنفوذك وسلطتك ومالك وعلاقتك الاجتماعية إن كان هذا ما كنت تفكر فيه.

وائل: لنتحدث لاحقاً.

منيرة: حسناً هذه المرة فقط سأجعلها تمر.

وصلا للعمارة الفخمة التي تحوي شقته، ونزلا معاً، شعر وائل إن تصرفه كان فظاً للغاية، وإنه بحاجة لإصلاح ذلك، ولكنه لم يعرف كيف، وماذا يقول لها، ثم تساءل عن سبب تصرفه الذي بالفعل يبدو

كحماقة الأثرياء، هل هو مصاب بهذا الداء؟ لا. لا يمكن... فهو لم يعش كـ "ثري" متبجح سابقاً... ما هذا إذن؟ هل هو بسبب التعب؟ لكن هذا لا يمنحه الحق في معاملة حبيبته المُنتَظَرة بهذا الشكل.

قاطعت منيرة سلسلة أفكاره قائلة: لا تعبس... لا يحق ذلك لك، أنا الشخص الغاضب هنا... عليك إضفاء روح مرحة في هكذا مواقف. أشعر بالخيبة (أظهرت تعبير ظريف، ولكنه قمة في الخيبة).

ابتسم وائل، وقال: أنت لا تمنحيني أي فرصة لأفعل شيء.

منيرة: أجل... كل شيء حتى مجاعة إفريقيا خطأي.

حاول وائل التقاط صورة لها في المصعد، ولكنها رفضت بطريقة مهذبة مما جعل الاستمرار بالمحاولة أمراً مخزياً.

أشار وائل لشقته حين وصلا، وكانت أكياس الملابس موجودة أمام باب الشقة، حملها، وأدخل كلمة المرور التي أطلع منيرة عليها في حال رغبت في زيارة الشقة في وقت لاحق، مما جعل منيرة تحملق فيه بتعجب.

أبدت منيرة إعجابها بشقته، وأخذت منه أكياس الملابس، وشكرته على كل ما قدمه هذا اليوم، واعتذرت عن كل ما بدر منها.

أحس وائل بشعور غريب وبارد وكأنهما لا يعرفان بعضهما... ماذا يحدث؟ لقد كانت تتشاجر معه وكأنها صديق طفولته قبل قليل؟ لقد سامحته، وأسدت له النصائح، يبدو وكأنها تلفاز تستطيع تغيير المحتوى بأكمله بضغطة زر.

نظرت منيرة للمرآة الكبيرة في غرفة وائل، وقالت في نفسها: حمقاء. هذا لا يشبهك بتاتاً. ماذا كنت تفعلين معه؟ لم يكن من المفترض أن تدعيه يشعر تجاهك بالراحة. أنت تفعلين معه ما لم تفعلينه مع المحامي بيلسان الذي تكنين له مشاعر عميقة... أي نوع من السيئات أنت؟ لكن عليك ألا تتغيري فجأة مع ذلك الطفل المسكين... كيف سيشعر؟

قالت: لديك مجموعة من مستحضرات التجميل الرائعة... لكن لماذا لديك أربع أضعاف ما لدي من المستحضرات؟

وائل: لأجعلك تقعين في حبي... أما أنت لا تحتاجين لها، فأنا غارق في حبك. تباً لهذه الحياة غير العادلة!

منيرة (تضحك من أعماق قلبها): سأستخدمها كلها فأنا لا أريد أن أقع في أي شيء... أخاف أن أتهشم.

وائل (يضحك بارتياح): سأمسكك إن وقعت.

منيرة: أوه أوه حسناً فهمت... أنت لا تريد مني أن أستخدم مستحضراتك.

وائل: سآتي... إن لم تتوقفي عن الكلام.

خرجت من الغرفة، وقالت: أنا جاهزة! لقد استخدمت الشال الخاص بك... اسمح لي بارتدائه هذه المرة فقط.

وائل: أشعر إنك تشعرين براحة كما لو إنك في منزل صديقتك لا حبيبك.

منيرة: لأنني لا أحبك. (تخرج لسانها، وتركض لتقف عند الباب لترتدي حذاؤها الجديد)

جاء وائل بهدوء من بعيد، وأمسك يدها للمرة الأولى، وقال: سألقي عليك تعويذة لتحبيني. (ابتسم بعذوبة)

تيبس جسد منيرة، ثم انفجرت بالضحك قائلة: آسفة (منعها الضحك من إكمال الكلام)، ثم أردفت: الفتيات... ألا يستأن أو يخجلن... أو يتأثرن في مواقف كهذه؟... أنا لا أستطيع إلا أن أضحك... آسفة.

(غدا وجهها أحمر تماماً، وسالت دموعها)

ضحك وائل بالرغم من إنه لم يفهم شيء، وقال: حسناً... سأستمر بإمساك يدك... إن كان ذلك يضحكك، سأفعله كمعروف لك.

منيرة: أفضل معروف تفعله لي هو أن تأخذني لأي مكان يمكننا أن نشتري منه طعام.

فهز رأسه موافقاً، وخرجا.

بضع خطوات، ثم صادفا دمية التي بدت متعكرة المزاج، وغاضبة للغاية... أمسك وائل يد منيرة بقوة... تسارعت خطواته، وحبس في داخله غضب من نفسه، وشعور عارم بأسف تجاه دمية.

قالت منيرة: دعني أرحب بزبونة، وصديقة غالية.

صوت منيرة بدا لـ وائل كضجيج بعيد مزعج غير مفهوم لذلك لم يستجب له.

دمية (بنبرة حادة): لم لا تدعها تسلم علي؟ وائل! هل أنت خائف أن أخبرها بأني خطيبتك؟

وائل (يضحك): من قال ذلك؟ منذ متى؟

دمية: لقد قمتُ بشراء شقة في هذا البناء لأكون بالقرب منك... حتى هذا الشال على عنقها إنه هدية مني.

منيرة (أخذت نفس عميق، وقررت أن تتكلم حين أحست إن وائل في وضع لا يسمح له بالرد): عندما تتخيلين امتلاك بيت فهذا لا يعني إنك

امتلكته حقاً... وعندما تتخيلين حباً لا يعني إنك في علاقة... يمكن الحصول على المنزل بالعمل الجاد... بينما لا يمكن ذلك مع الحب.

وائل لم يستوعب ما قالته بينما دمية ضحكت بسخرية قائلة: من أي كتاب هذا الاقتباس؟

منيرة (مبتسمة بإشراق): سأخبرك في وقت لاحق.

دمية: امرأة في مثل سنك عليها أن تكون حكيمة. كيف تثقين برجل مثله؟

منيرة: لأني أكبر منكِ أعلم إنكِ في حب يائس من طرف واحد، وأعلم إن لا امرأة غيري في حياته الآن، وأعتقد إنه محط ثقة وإعجاب وإلا لما وقعتِ في حبه. الآن أعتذر، فعلينا الذهاب.

خفض وائل رأسه، وابتسم، ثم شد على يدها وكأنه يشكرها.

لاحقاً في المطعم سأل وائل منيرة وكله لهفة لمعرفة السبب: لماذا تثقين بي؟

منيرة: لا داعي لأن تعرف.

وائل: لم أتوقع أن تجيبني (في نفسه يقول: أريد معرفة الجواب بشدة) لكن على أي حال شكراً.

منيرة: أنت! لا يحق لك أن تثق بي.

وائل: فتاتي التي تظن إنها الأكثر سوءاً على الكرة الأرضية. (سحب أرنبة أنفها، وضحك).

منيرة: الناس تشاهدنا...

وائل: هل أصرخ وأخبر الجميع إنني أحبك؟

بالنسبة لأولئك الذين يعدون أنفسهم محبين: التهور شجاعة، والشجاعة حب، والحب يستحق كل ما لديهم، لأنه في هذه اللحظات يبدو أبدي، وأكثر قوة من الحياة ذاتها... ما يدعم هذا الشعور لديهم إنهم حين يضحكون ويمرحون يزداد حبهم لبعض، ويزداد أضعافاً مضاعفة حين يتشاجرون ويغضبون ويثورون... إنهم يقتربون من بعض حين يبكون أكثر من اقترابهم من بعض حين يتعانقون.

هكذا مضت ساعات الصباح في تناول الفطور والشجار والأحاديث المسلية التي لا تبدو مسلية على الإطلاق لمن هم خارج كوخ علاقة هذين الحبيبين، إنها فقط تحمل معانٍ مفهومة لهما هما الاثنان، وكأن هناك لغة خاصة وجدت فقط لتربطهما معاً وبحزم، وتطير بهما لعالم متخيل أبدي في هذه اللحظة.

(٧)

مشكلتي هي إن لا أحد يستمع لي

بالنسبة للمشاهير والمُعَرّفين لمجموعة من الناس المشكلة الحقيقية هي إن هناك الكثير من الجمهور يستمع لهم، وحتى إنهم يتعرضون للمطاردات والملاحقات المجنونة ليستمعوا لبعض من كلماتهم، ويطلقون عليها تعظيماً لفظة "تصريحات"، ومع ذلك فهناك عدد لا بأس به من المشاهير ينتحرون بسبب الوحدة... لأنه لا يوجد أحد يستمع لهم.

في مساء يوم الجمعة الرتيب...

يحتسي المحامي بيلسان شاي الليمون أثناء مراجعة القضايا في غرفته في المنزل الكبير الذي تركه له والداه قبل أن يتوفيا ليتزوج فيه أبنهما الأصغر، والذي ولد بعد ست أطفال، ولم يستطع أن يحصل على رعاية منهما غير هذا المنزل.

خلال السنوات الماضية كان المحامي متردد في الحصول على زيارة لعيادة طبيب نفسي، أو مكتب استشاري حياتي أو نفسي، ولكن منذ بضعة أيام بعد إن رأى إعلان مكتب استشارة نفسي جديد، وقريب ازدادت تلك الرغبة في الذهاب، وازداد فضوله لمعرفة إن كان

سيشعر بارتياح حقاً، أم إنها زيف كما لو كانت مجموعة أدلة رتبت بمهارة لتثبت براءة قاتل؟

لا شيء سيمنعه من الذهاب هذا اليوم، لا شيء يسري مؤخراً بشكل جيد، وكل شيء يقع خارج سيطرته، ولكنه بالتأكيد يمتلك الساعتين القادمتين، ويستطيع الذهاب للحصول على استشارة.

في المكتب...

يسير المحامي بخطى واثقة، لن يكترث إن رآه أحد، فهو شخص موهوب جداً في التلاعب بالألفاظ والكلمات، ويجيد تغيير الموقف لصالحه، وسيجيد فعل ذلك في هذا اليوم أيضاً.

هناك شاهد دمية خارجة من المكتب ابتسم، وحياها بإيماءة خفيفة برأسه حين لاحظ توترها الذي حاولت إخفاؤه، وقال في نفسه: ستسأل عن سبب زيارتي للمكتب لتخفي قلقها... واحد، اثنان، ثلاثة!

دمية: ماذا يفعل المحامي هنا؟

ضحك المحامي، وقال: لستِ في موقف يسمح لك بالسؤال آنستي.

دمية (تورد وجهها غضباً): أنا هنا لأني أريد التكلم مع صديقتي وعد... إنها المستشارة هنا.

بيلسان: لستُ فضولي بشأن شؤونك الشخصية. عن إذنك.

لم يكن هناك في المكتب أحد غيره، فسمحت له المساعدة أن يدخل مباشرة...

استقبلته وعد استقبالاً حاراً، ورحبت بقدومه، وأظهرت سرورها العارم لأنه أختار مكتبها ليقدم له بعض الاستشارات.

المحامي: أتمنى أن تناديني بيلسان بدل المحامي، فأنا هنا بصفتي بيلسان.

وعد: هذا ما علي أن أعرفه لمَ أنت هنا؟ ثق بي، وقل الحقيقة، فلا يبدو لي إنك شخص تثق بأي أحد بسهولة.

بيلسان: ترتيب المكتب جميل، ومريح للنفس... أشعر وكأني سأخبرك بكل شيء.

وعد: شكراً... ماذا ستخبرني؟ ما أكثر ما يقلقك هذه الأيام؟

بعد دقيقة من التفكير بصمت قال بيلسان: لا أحد يستمع لي... الكلمات التي لم أقلها، وأنا أنتظر الوقت المناسب حبست في قلبي، وأشعر إن الوقت المناسب لقولها لن يأتي أبداً... لا أعلم إن كان خطأهم حين لم يفسحوا لي المجال لأخبرهم بما أفكر فيه، وأنوي

فعله، وما أشعر به... أم إنه خطأي لأني لم أهيئهم لسماع ما أريد قوله.

وعد: هل تقول إن كلماتك فقدت معناها؟ هل ما زلت ترغب في قولها؟

بيلسان: لا أعلم... لست أدري... قبل أن آتي إلى هنا رأيته مستلقٍ ورأسه في حضنها في حديقة عامة، كانت ترتدي معطف كبير بشع، وكان هو قد غطى نفسه بسترة ضخمة، كانت هي سعيدة رغم البرد، ورغم إن شكلها غير أنيق... إنها شخص يعتني بمظهرها، وقد أخبرتني عدة مرات إنها لن ترتدي ملابس سميكة لكيلا تكون بشعة.

وعد: هل كنت تعلم إنها كانت في تلك الحديقة؟

بيلسان: لا لقد قدت السيارة بدون تفكير، وأوقفتها بعد عشرين دقيقة من القيادة أمام تلك الحديقة، ولا أعلم لمَ دخلت. هل هو القدر؟ هل علي أن أعاقب لأني دفنت كلماتي وانتظرتها لفترة طويلة؟

وعد: ربما كانت هي الأخرى تنتظر أن تقوم بالمبادرة... النساء يفضلن الرجل ذو التصميم العالي، والمبادرات الشجاعة.

بيلسان: أعلم... لكنها لا ترتاح لي، لا تريني جانبها الضعيف مهما حصل.

وعد (مبتسمة): لأنها تحبك كثيراً، وتنتظر أن تأتي، وتجبرها على إظهار الجوانب الضعيفة، وغير الجميلة منها.

بيلسان: هل تعتقدين ذلك؟

وعد: وأنت ماذا تعتقد؟

أخذ نفس عميق، وقال: ربما... قبل أن يأتي ذلك المتفاخر. ماذا علي أن أفعل الآن؟

.

.

وعد: ماذا تريد أن تفعل؟ ماذا تنوي أن تفعل؟

بيلسان: أنا شخص لا يستطيع الانتظار، ولم أحب شخص في حياتي لدرجة الألم، ولا أحب أن ألتصق بمن لا يريدني، الحب عديم النفع علينا التخلص منه. أنا شخص عملي، ولا أحب الشاعرية.

وعد (أومأت): أوه!

بيلسان: مشكلة الكلمات التي تبقى في وعاء القلب إنها تتعفن وتتلف كما لو كانت طعام فاسد... أتعلمين ماذا يحدث لو تناول أحدهم طعام فاسد؟ سيتقيأه لكي يصبح أفضل حالاً، حتى ولو كان التقيؤ شاقاً ومؤلماً للغاية.

وعد: هل ترغب في فعل الأمر ذاته مع ذكرياتك ورغباتك وكلماتك؟

بيلسان: علي ذلك.

وعد: إمممممم... أنا أؤمن إن كل الطعام جيد وصالح للهضم، ولكن معدتنا هي معدة بشرية ضعيفة، وتعاني من عدة مشاكل أخرى منعتنا من هضم الطعام.

بيلسان: نعم هناك الكثير من المشاكل الأخرى لذلك علينا أن نتقيأ أولاً لنمتلك القدرة على معالجتها.

ودع بيلسان وعد، واتفقا على موعد آخر لمعرفة إن كان ما زال يرغب بمحو ذكرياته ومشاعره.

خالجت بيلسان مشاعر تشبه التحليق أو التطهير بعد هذه الجلسة القصيرة، ورغب بشدة في الاستمتاع بجولة هادئة في المدينة وحيداً، أو النوم براحة وكأن شيء لم يحدث، ولكن أنى له ذلك ودمية كانت جالسة في صالة الانتظار تنتظر خروجه لتتحدث معه.

لفرط استرخاء بيلسان لم ينتبه حتى لوجود شخص ما في الصالة، فصرخت دمية: ألا ترى إنني أجلس هنا؟

بيلسان (منزعج ولكن لم يظهر ذلك): وماذا في ذلك؟

دمية: أنتظرك منذ ستة عشر دقيقة لأتحدث معك.

بيلسان (مبتسم): حسناً... وكنت سألبي طلبك حتى وإن طلبت ذلك بطريقة لطيفة.

دمية (غضبت لأنها محرجة للغاية، ولا تملك دفاعات): لا أطيق رؤية وجهك لأنك شخص تخلى عن حبيبته لتصبح هي أكثر سعادة، وتصبح أنت أكثر تعاسة، لأنك شخص جبان، ولكن أحتاج أن أتعاون معك هذه المرة.

حرك إبهامه الأيسر قرب الزاوية السفلى لفمه، ونظر في عينيها وفي عينيه خبث وسعادة قائلاً: هل أدلك على أفضل طريقة لجعلهما يتألمان؟

دمية (بحماس): أخبرني من فضلك.

بيلسان (ضحك): كوني أكثر روعة من أي وقت، ليكن لك حياة شخصية باهرة، لا تعتمدي عليه، افعلي كل ما طلبه منك يوماً، وسيقع في حبك، وحينها يمكنك أن تهجريه.

دمية (حزينة): وسيبقى وحيداً؟ بدون أي شخص؟ بجروح لا تشفى؟

بيلسان: لا سيشفى، ولكن ستبقين هاجساً لا يمكنه التغلب عليه.

(٨)

طوال اليوم

أصبح مزاج وائل رائقاً وعذباً للغاية، وأصبح أكثر سلاسة مع طاقم العمل، ولكنه تخلى عن عادة جلب الزهور لهم حرصاً منه على مشاعر منيرة التي قد تفهم هذا بشكل خاطئ.

إنه شخص يفكر فيها فقط، ويشتاق لها في اللحظة التي يتركها صباحاً أمام دار الأزياء، واللحظة التي يودعها مساءً أمام منزلها، ويجن جنونه عندما تطلب منه ألا يأتي لزيارتها أو إيصالها.

لقد مرت ثلاث أيام منذ عطلة نهاية الأسبوع التي قضياها معاً، ولم يحتمل وائل تَمَنُّعها عن رؤيته بحجة الانشغال والتعب، بينما كانت تجلس بسعادة مع المحامي بيلسان في مطعم في منتصف المدينة عند الساعة الثانية عشر ظهراً وقت الذروة في مكان يبعد عن دار الأزياء عشرون دقيقة عندما تصبح الشوارع خالية وما يزيد على أربعين دقيقة عند الازدحام. قال لنفسه إنه يتفهم، عليه أن يتفهم، ولكن ذلك غير ممكن، وخاصة إنها أصبحت بالكاد ترد على رسائله بينما قبل ثلاث أيام فقط سمحت له بالنوم في حضنها في حديقة عامة رغم البرد لأنها كانت أمنيته فقط.

عند الساعة السابعة مساءً أرسل وائل رسالة يسأل فيها إن كانت ترغب في أن يأتي ليصطحبها للمنزل، فردت بأنها لا ترغب في أن ترهقه، وتستطيع العودة بنفسها، مما جعله يستاء جداً، فرد قائلاً: غبية. أنا أعني إني أريد رؤيتك... سآتي لاصطحابك... لن أتقبل الأعذار.

حصل وائل على غفوة قصيرة في السيارة بينما كان ينتظرها، جاءت، وقرعت النافذة، وحين صعدت للسيارة قالت وهي تحاول أن تتظاهر بأنها غاضبة: لماذا تنام دائماً في السيارة بينما تنتظرني؟ هذا يشعرني بأني نوع من الإرهاق لك. لذلك لا أريد منك أن تأتي لاصطحابي.

وائل (يحاول أن يتظاهر بأنه مستيقظ): أنا لم أنم جيداً منذ... فترة، لأني مشغول بالعمل... وهناك اللقاءات الاجتماعية... وأصدقائي... أحاول التوفيق بينهم...

منيرة: وأنا؟

وائل: أجل وأنت... لا... لا تقولي هذا أنت جزء من يومي مثل النوم والطعام والشراب... جزء علي مواصلة القيام به وبكثرة لأكون بصحة جيدة. (يبتسم، ثم يتثاءب)

منيرة: حسناً.

وائل: كيف حال المحامي بيلسان؟

لاحظ وائل إن عيني منيرة أشرقت بشكل غير طبيعي، وتورد وجهها سروراً، ثم قالت: إنه بخير.

وائل (يتظاهر بأنه سعيد): أوصلي سلامي إليه. إنه رجل على قدر كبير من الاحترام والأخلاق ومراعٍ للغاية... هل التقيتما قريباً؟

منيرة: أجل. بالطبع. الأصدقاء عليهم أن يلتقوا دائماً.

وائل: لكني لم أر بعض أصدقائي المقربين منذ إن بدأنا نتواعد (يضحك)

منيرة: صديق سيء (تخرج لسانها بسرعة)... لم أطلب منك ذلك... ثم إني أرى إنك تحمل وقتك جدولاً أكثر من طاقته الفعلية.

وائل: ربما ولكن السعادة، والنجاح، وراحة البال تحتاج بدناً متعباً من العمل الجاد، وجدول عمل مزدحم بدون أوقات فراغ.

منيرة: أنا لا أقول لا تعمل بجد، ولكن تعلم كيف تسترخي... تحتاج لأن تأتي معي لاحقاً لدروس تطوير الذات.

وائل: سأعتبرها دعوة، وسأقبل الدعوة. لا تنسي ذلك.

منيرة: لن أنسى.

(٩)

لهذا نحب الليل

"يدي في يدها... حلم لا يفارقني... ولن أتنازل عنه" –خالد الباتلي

عند الساعة الواحدة ليلاً، استيقظ وائل، وأغتسل، وتعطر، وأرتدى ملابس صوفية جميلة، وأتصل بـ منيرة التي كانت تغط في نوم عميق، وأخبرها أن تجهز نفسها، وتنتظره في ملعب الأطفال في القرب من المبنى الذي يقطنون فيه.

شغل وائل مقطوعة " نافورة المياه " على طول الطريق، وراح يذوب في حنايا الألحان، وأراد أن يطلق عنان خياله، ويتخيل إن منيرة تنتظره بابتسامة، ولكنه أحجم عن هذا الخيال مستحيل الحدوث، ولكنه تخيل إنها ستكون متأثرة للغاية، وستبتسم، وتختفي تكشيرتها عندما تعرف سبب اللقاء.

عد الأضواء على طول الطريق، وشعر بأنه محاط بنعم عديدة لم يشعر بوجودها قبلاً... إنه نفس الشعور الذي اعتراه صبيحة عيد مولده الأخير، ولكنه أكثر جمالاً اليوم.

حين وصل رآها تجلس على الأرجوحة، وتضع سماعات رأس كبيرة وعصرية، وتغلق عينيها، وترتدي ملابس سميكة، وتغطي رقبتها بشال صوفي كبير، كانت تبدو ظريفة جداً ووحيدة للغاية، لم تنتبه لوجوده، ولم يشأ أن يزعجها أو يقاطع ما تستمع له، فجلس على الأرجوحة المجاورة، وراح يراقبها بهدوء، وحين فتحت عينيها، ورأته ابتسمت بإشراق، وقالت: ألم أخبرك أن عليك أن تنام؟

وائل: لقد نمت أربع ساعات. هيا دعينا لا نفقد وقتنا الثمين.

وسار نحوها بثقة، وأمسك يدها المغطاة بالقفازات، وساعدها على النهوض، حاولت أن تفلت يدها، فشد على يدها بقوة، وسارا جنباً إلى جنب.

شعر وائل بأنها متعبة للغاية، ولكنها تشعر بالراحة بالقرب منه، ثم قال وائل: أنا آسف لأنني أخرجك في هذا الوقت المتأخر، وهذا الجو البارد.

منيرة (تنهدت): عليك أن تعتذر... وعلي أن أشكر صنيعك فقد جعلتني أرى النجوم الساطعة، وأستمتع بالجو الجميل.

خلع وائل قبعته، وألبسها إياها، وقال وهو يحدق في وجهها متخدراً: ما أجملك!

فلاحظ إن تنفسها صعب، ولا تعرف أين تضع عينيها، وقالت وهي غاضبة للغاية: أكرهك... أكره الطريقة التي تعاملني بها... أنا لست طفلة... هيا لنذهب. أكاد أموت من البرد. (قالت في نفسها: أكرهك لأنك تجعل قلبي يرتجف كطفلة، وتجعل عقلي مشوش للغاية)

أسرعت نحو السيارة، فابتسم وائل، وتبعها.

بعد رحلة قصيرة، وصلا لملعب ضخم، فسألت منيرة: ماذا نفعل هنا؟ في هذا الوقت؟

وائل: اتبعيني فقط.

نزل من السيارة، ومن فرط سعادته نسي أن يفتح لها الباب، واتجه نحو باب الملعب، ودخل، فلحقت به منيرة، وكررت السؤال: ماذا نفعل هنا؟

نظر وائل للأضواء الساطعة، والعشب الأخضر، وكأن هذا المشهد ليس بحقيقة، وأحلى بكثير من حلم، ثم قال: أنا هنا لأخبرك بسبب عدم مقدرتي على النوم... ألكِ أن تجلسي على المدرجات؟

اختفى قليلاً، ثم شغلت مقطوعة موسيقية لطيفة ودافئة، ثم خرج، وهو يحمل باقة أزهار، وقال وهو يضحك خجلاً: أنا آسف لأن

اعترافي الأول لم يكن جيداً... واحد... اثنان... ثلاثة. منيرة أنا أحبك... لن أعد بوعود لا أستطيع أن أفي بها، ولكن سأعدك بأن أعمل بجد لأكون عند حسن ظنك.

ثم تقدم نحوها بخجل، ولكن كرجل وصعد المدرجات، وناولها الزهور، فأخذتها، ونزلت بسرعة لتتفادى الموقف المحرج، وسألت إن كان هناك كرة هنا.

أحضر وائل كرة من مكان ما، وسأل عما تريد فعله بها، فقالت: كل هدف مُسجل هو أمنية مجابة.

بعد ساعة من اللعب المتواصل خارت قواهما، وجلسا في منتصف الملعب، والكرة في حضنها.

منيرة: أخبرني بأمانيك الثلاثة.

وائل (يأخذ نفساً عميقاً): أن تلتقي بعائلتي، أن تحضري برفقتي مناسبة اجتماعية، أن تتعرفي على أصدقائي.

منيرة: إن كان كل أصدقائك وسيمون ورائعون مثل صديقك رامي الذي تعرفت عليه الجمعة الفائتة موافقة.

وائل: لقد لاحظت كونك كنت ستأخذينه في حقيبتك لو لم أنقذ الوضع.

منيرة: لو كان ذلك ممكنا لفعلته.

وائل: لقد قمت بتأجير الملعب الجديد لنادي الإرادة لتخبريني بأنك تحبين صديقي؟

منيرة: لم أطلب منك أن تؤجره. (تنهيدة)

وائل: أتراجع عن أمنيتي الأخيرة. أتمنى أن أذهب معك في سفرة عبر القطار. ما هي أمنياتك الأربعة؟

منيرة: أن تقابل عائلتي وصديقاتي وتحسن التعامل معهم، نوعي المفضل من الرجال من يحسن التعامل مع عائلتي... أن نشاهد فيلماً معاً... أن نذهب لمدرستنا معاً... أن أراك تطهو.

وائل: هذا غش! إنها خمس أمنيات.

منيرة: حقق ما ترغب منها. أنا جائعة.

وائل: وأنا أيضاً.

اختفى وائل قليلاً، وعاد بقالب حلوى كبير وشهي، وتناولاه بالكامل، بعد ذلك ناما على العشب، نظر لها وائل، فبدت أكثر جمالاً من المعتاد، وقال في نفسه: كيف لشخص أن يبدو أكثر جمالاً وسحراً كلما رأيته؟

منيرة: شكراً على هذه الذكريات الجميلة... وأتمنى أن تحظى بنوم جيد من أجل صحتك. أنا قلقة جداً.

لولا الحياء لكان وائل يرقص الآن من شدة فرحه لاهتمامها به وقلقها عليه، ولكنه حاول أن يتظاهر بسحره المعتاد وجاذبيته التي لا تقاوم اللذان لا يعلم أين يذهبان حين يلتقي بمنيرة، وقال بوقار "سأحاول"، ومسح على رأسها، فتورد خدها، وضمت يديها بتشنج إلى جسدها خجلا.

(١٠)

جلسة حوار

بيلسان: أنا أفتقد اهتمامي بها الذي كان يتزايد يوما بعد يوم خلال السنوات الماضية، وأنا الآن على ثقة كاملة بأنها ستعود لي.

وعد: من أين لك هذه الثقة؟

بيلسان: بالرغم من أن لقاءاتنا قلت لأقل قدر ممكن ألا إنها في كل مرة يزداد تقديرها، واحترامها لي.

وعد: وكيف؟

بيلسان: يمكن معرفة ذلك بالنظر إلى عينيها.

وعد: أن أتت إليك... ألن تفكر في حبها مجدداً؟

بيلسان: ولمَ قد أفعل؟ ألم تهجرني أولاً؟

وعد: عرفت الآن لم انتظرت كل هذه المدة؟ كبرياؤك هو السبب... لأنك شعرت بأنك قد ترفض... فضلت السكوت على الرفض؟

بيلسان: فسريه كما تحبين.

وعد: ما المشكلة حقاً؟ هل تظن إنها لا تستحق ما فعلته لأجلها؟

بيلسان (نظر في عين وعد متحدياً): أنا بدأت أغرم بأخرى.

لبضع ثوان ظلت وعد محافظة على النظر في عيني بيلسان بدون أي رد فعل، ثم ظهرت ابتسامة توسعت تدريجياً، ثم أغلقت الكتاب الذي أمامها، وقالت: بالطبع. من يستطيع فعلها غيركم أنتم معشر المحامون؟

(١١)

قمر كانون

خرج بيلسان من الغرفة الاستشارية عند الساعة الثامنة مساءً بعد ساعة من الحديث مع وعد.

إنه الآن سعيد، مغرق بالبهجة والراحة كما لو إنه أدرك أن يرتدي معطفاً سميكاً غير ملائم للجو، وخلعه، وترك الهواء النقي المنعش ينفذ لجسده عن طريق قميصه الكحلي.

كانت دمية جالسة هناك تشعر بالملل والنعاس، وتعبث دون تفكير في حقيبتها

حدق فيها بيلسان طويلاً، ثم قال: ماذا تفعلين هنا؟

دمية (نظرت له بتعجب ساخرة من ذكاءه): بالطبع أنتظرك. أي نوع من الأسئلة هذا؟

بيلسان: جيد. اختصرت علي الطريق... كنت أبحث عنك. (ابتسم ابتسامة غامضة وموحية)

دمية: لن أسال عن السبب، وأجعلك تشعر بالمتعة... لست فضولية بشأن هذا.

جلس إلى جانبها، وأخرج هاتفه المحمول رفعه نحو الزاوية اليسرى العليا، وقال: أنظري إلى الكاميرا.

دمية (مندهشة): إمممممم!

بيلسان: أنا منجذب إليك.

التقاط الصورة

دمية (رسمت على وجهها ابتسامة مشرقة): أنا أيضاً. هذا هو سبب وجودي هنا...

رمى عقله المنضبط قليلا خلفه، وشعر بشيء خفيف ينتشر في جسده خفيف إلى درجة إنه قد يحلق الآن وفي أي لحظة.

بيلسان (يشير إلى ساقيها): لا ترتدي ملابس قصيرة وضيقة ثانيةً، ولا تظهري ساقيك لأي كان.

وقف بيلسان، ومد يده نحوها.

دمية (غطت فمها بيدها اليسرى لتخفي سرورها الغامر، ومدت يدها اليمنى نحوه): حسناً. سأفعل، لكن بالنسبة للملابس الضيقة عليك أن تعيد التفكير.

بيلسان (مندهش وفخور): واه! كان هذا سهل.

دمية (أمالت رأسها نحو الجهة اليسرى، ورفعت كتفيها وهي تضحك كالأطفال): لأني جعلته كذلك.

تمشيا وهما ممسكان بيد بعضهما البعض

في المصعد...

بيلسان (مبتسم): لم أتوقع إنه سيكون بهذه السهولة

دمية (تضحك): ولا أنا. أنت أول رجل أواعده... الأمر ليس صعب كما قيل لي...

بيلسان (شد على يدها): هل سطع قمر كانون هذه الليلة ليحقق أمنياتنا؟

دمية: إنها هدية الخالق لأننا انتظرنا طويلاً.

بيلسان: ما يأتي بسهولة يذهب بطريقة أسهل... (حدق في عينيها) ولكني لا أريد أن أدعك تذهبين.

دمية (نظرت إلى عينيه، ولكنها أنزلت عينيها بسرعة حياءً، وضحكت): لن أترك هذه اليد بسهولة. نحن مقدران لبعض لذلك وصلنا لبعض بسهولة.

على سلم ذات المبنى كانت تجلس منيرة مفترشة الأرض، ومبتلة بالدموع لقد وصلت متأخراً جداً، ولكن ليتها تأخرت أكثر لكي لا تشاهد أي مما جرى في غرفة الانتظار...

هل كانت تلك السنوات كذباً؟ هل يستطيع البوح بمشاعره بهذه السهولة؟ كل شيء فَعَلَه، كل نظرة، كل خطوة صرحت بحبه لها لدرجة إنها كانت في أمان من نفاده، وخوف ورعب من شدة وصدق هذا الحب فقد لا تكون أهلاً له... لم يصرح بذلك لكنها تعلم به، الفرق بينها وبين دمية إنها لم تشجعه على البوح به، بل كانت تبتعد كلما تشعر بأنه يوشك على الاعتراف.

تسرب نور قمر كانون ليواسيها، ويطلب منها جمع شتات نفسها، ويخبرها بأنها ستشتاق له بشدة كلما أنار المدينة قمر فضي وأصبح الجو بارداً ومنعشاً هكذا، لكن عليها أن تنهض الآن بعد أن تذرف كل دمعة متبقية في خلدها فلا داعي لما مضى أن يمنعها من رؤية مستقبلها، إنها مقبلة على خطوة كبيرة في عملها، ولديها شخص كل ما يتمناه في هذه الحياة سعادتها وقربها...

بعض الصدمات تأتي في وقت مثالي لترينا الأشياء الحقيقية والمميزة في حياتنا، والأشياء المزيفة التي تشبه الركام يجب التخلص منها.

(١٢)

الهمس المحبب

أصرت عائلة وائل على اللقاء بـ "الفتاة التي سيتزوجها"، شرح وائل مراراً وتكراراً إنهما لم يقررا إن كانا سيتزوجان أم لا... تظاهرت والدته إنها فهمته لتلتقي بالفتاة مع إن هذا الكلام عصي على فهمها فهي من زمن إن كنت فيه شغوفا بمحبوبتك ستتزوجها على الفور...

حاول وائل تجاهل طلب أسرته، ولم يفكر حتى بإخبار منيرة، حاله كحال معظم الرجال ظن إنه قادر على أن يحل الأمر وحده، ورغب أن يحمي حبيبته من شيء هو في الواقع لا شيء إطلاقاً.

مر يوم ومر يوم آخر، وعائلته تشدد طلبها على لقاء منيرة، ثم قرر أن يتصل بـ منيرة في آخر المطاف عندما نفدت به السبل بعد إن علم إن عائلته وصلها نبأ خطبة دمية السريعة، وتحديد موعد زفافها بعد شهرين.

رن هاتف منيرة...

بهيرة حملت الهاتف، ونادت: منيرة~~ إنه فتاك الوسيم.

ينتظر وائل على الطرف الآخر بترقب أن ترفع منيرة السماعة، وينتظر أن تخبره بأي حجة سخيفة، وترفض لقاء عائلته، وسيشعر بالامتنان لها طوال حياته لأنها وَقَتْ نَفسيهما عناء الحرب، والكثير من الكلام الجارح.

أخيراً ها هي ترد...

منيرة: مرحباً.

وائل: مرحباً.

منيرة: ما هو الأمر الذي دعاك إلى الاتصال؟

وائل: غير أن أسمع صوتك؟

منيرة: غير أن تسمع صوتي.

وائل: هل أنت مشغولة مساء الغد؟

منيرة: لا. أدخل إلى صلب الموضوع.

وائل: كيف عرفت؟

منيرة: نبرة صوتك. إذن ما هو؟ تكلم لقد شربت عصير ليمون الآن... أنا هادئة.

وائل: هل يمكنك الحضور لمأدبة العشاء المقامة على شرفك غداً مساءً في منزل عائلتي؟ (يتوجس الشر)

منيرة: تتصل بي عند التاسعة ليلاً لتخبرني بهذا؟ في يوم الخميس؟

وائل: حاولت رفض هذه الدعوة منذ يومين... لكن...

منيرة (تمتص كل غضبها): هل تعتقد إن كلامك هذا يريح أعصابي؟ كان عليك أن تسألني قبل أن ترفض... فترة يومين كافية لأستعد، ولم أكن لأرفض طلبهم... الآن لا وقت لدي... أكرهك. دائماً تتصرف كما يروق لك... لا تفكر وحدك!

وائل: أنت لا تعرفين عائلتي...

منيرة: هذا اللقاء متوقع... وكل عائلة تخاف على ولدها من أي فتاة.

وائل: حسناً سأخبرهم إنك مشغولة، ومتعبة، ولن تستطيعي الحضور.

منيرة: مرة ثانية تقرر بنفسك... سأصاب بالسكتة القلبية بسببك... أنا سأذهب. سأحقق أمنيتك.

وائل: ها؟

منيرة: ما نوع المأدبة؟ ما حجمها؟ علي معرفة ما الذي يجب علي أن ألبسه.

****

في يوم الجمعة عند تمام السادسة مساءً...

الجو بارد، ولكنه منعش وهو الأنسب للخروج والمرح بالنسبة لـ وائل، إنه يأسره بطريقة ما ولا يعرف السبب، ولو تُرك له الأمر لذهب في رحلة تخييم أو زار بعض الأصدقاء بلا قيود...

بينما كان جالساً في سيارته الصيفية ينتظر وصول منيرة سرح في أفكاره، وأدرك بأن للحب مسؤولية أكبر مما تصور، إنه حمل ثقيل لم يعتد عليه... انتظر هذا لوقت طويل، ولكن لماذا يشعر إنه ليس مهيأ بعد؟

حرك رأسه محاولاً نفض كل تلك الأفكار عديمة النفع، فربما هناك مسؤولية لكن هناك سعادة لم يشعر بمثل طعمها سابقاً، ثم يمكنه الذهاب أينما شاء برفقة منيرة أو حتى من دونها، فمن أجمل محاسن منيرة إنها شخص منفتح لا يلتصق كالعلكة.

بعد لحظات فتح باب السيارة، ودخلت فتاة في غاية الحسن ترتدي ثوب خوخي اللون طويل وبسيط، ومعطف أبيض من الفراء والصوف يصل إلى خصرها، وتحمل حقيبة بيضاء وسوداء مسطحة بحجم ورقة الطباعة، لكن ما استرعى كامل انتباه وائل كان العقد الأسود، والحلق الصغير الأسود الذي لا يكاد يتدلى من شحمة أذنيها،

والسوار الأسود الذي يزين معصمها، وشكل وجهها الساحر المختلف، بالطبع لم يدرك إن سبب ذلك كان بسبب زينة الوجه وتسريحة الشعر المختلفتين، وعزى ذلك لروح مختلفة سكنتها!

منيرة (بخجل): لا تحدق! بذلت ما في وسعي فقط.

وائل (في عالم آخر): أنت بحق مصممة أزياء.

منيرة: لقد استعرتها... ليست من تصميمي.

وائل (يفكر بصوت عالٍ): من يهتم للتخييم والأصدقاء حينما تكون منيرة بجانبه؟

منيرة (ابتسامة من قلب محب متفهم): آسفة... سأذهب معك للقاء أصدقائك لاحقاً... سأحرص على تعويضك.

وائل (وجه أحمر): أنا هو الشخص المتأسف هنا... (ابتسامة هادئة) لستِ فتاة لا تحترم حرية الآخرين.

منيرة: تحدث عن أسرتك... ولكن قبل ذلك اغلق السقف، وافتح التدفئة أكاد أتجمد.

وائل: غيري ملابسك، ستمرضين.

منيرة (عادت لطبيعتها البشرية): شكراً لاهتمامك... لن أمرض...

وائل (بثقة): أنت تفعلين هذا من أجلي؟

منيرة (أخفت صدمتها، وافتعلت ضحكة رنانة): أنا بالعادة أنيقة... أنا مصممة أزياء... لكنك تراني وأنا متعبة في ملابس العمل، وفي أوقات غير مناسبة... لا أنكر إن حدث اللقاء بعائلة ثرية كعائلتك يحتاج لإعداد مضاعف... ولكن لا تخف أنا معتادة على التعامل مع مختلف أنواع الطبقات.

وائل (يضغط على مقود السيارة باستياء، ويتنهد): الطبقات... لا تتفوهي بهراء كهذا!! كلنا بشر! لن يفرض سلطان المال، وتفاهات الإعلام أفكارهم.

منيرة: لكن يبقى... أنت تزور أماكن مختلفة عن التي يزورها الناس العاديون، وكذلك تدرس في مدارس مختلفة، وترتدي ملابس مختلفة، وتأكل طعاماً مختلفاً.

وائل (تنفس ليخفف من غضبه): حسناً وجهة نظر أحترمها... لكني صنعت كل شيء بنفسي.

منيرة (ربتت على كتفه الأيمن): أحسنت صنيعاً أيها الرجل المميز، وشكراً على احترام وجهة نظر الآخرين.

وائل (مهتاج): أشعر بالسوء... تجيدين إحراجي، ومعاملتي كطفل صغير.

منيرة (ضحكة عذبة قصيرة): لكني ذكرت إنك رجل مميز... على الأقل بالنسبة لي.

وائل (باتزان وهدوء مصطنع): شكراً لك.

ظهر شبح ابتسامة على محياه، وبدأ شيء غريب يسير في معدته وأسفل بطنه، وأشياء غريبة تتخذ قدمه ملعباً، وظهرت أرواح مختلفة في عقله لتعبر عن سروره وغبطته، وتحدث ضجيج هائل، فعذوبة عبارتها كفيلة بخلق إعصار تسونامي داخله.

منيرة (لطيفة كالأطفال): كيف كان يومك؟ ماذا فعلت اليوم؟ بعد التفكير في الأمر أدركت إني لا أعرف عنك شيء.

وائل (سعيد للغاية): أوه... كان يوم جيد.

منيرة (متعجبة): فقط؟ أعطني التفاصيل

وائل: هل أنت توأم منيرة؟

ضحكت منيرة من أعماق قلبها ضحكة عذبة، تراقص قلب وائل على أنغامها، وانبسطت أساريره، وقالت: هذا جانبي الخاص ليوم خاص. بالمناسبة إلى أين نحن ذاهبون؟ المكان مظلم.

وائل: منزل العائلة في الضاحية حيث سيقام العشاء... عشر دقائق، وسنصل.

بعد عشر دقائق من الأحاديث البسيطة وصلا للضاحية الجميلة حيث منزل عائلة وائل، أوقف السيارة بعد عبوره بوابة المنزل بعدة أمتار... لاحظ وائل الاندهاش والارتباك على محيا منيرة حين طلب منها النزول.

قالت منيرة: ولكن أين المنزل؟

منزل عائلة وائل مترامي الأطراف، حدائق منظمة بعناية، نهير صغير هناك يمر فوقه جسر مزين بالأزهار، بحيرة مصغرة محاطة بمقاعد وأشجار وإضاءة خافتة تنعكس على سطح البحيرة الرائق لتكون ملجئ ملائم للعاشقين.

قام وائل بتشغيل موسيقى هادئة في مسجل السيارة، ونزل هو الآخر من السيارة.

وقال بجاذبيته التي لا تقاوم: هل ترقصين معي؟

يعلم وائل جيداً إنه يمتلك جاذبية وسحر متفردين، ولكنه حين يكون مع منيرة غالباً لا تظهر هذه الصفات، ولكن اليوم هو أيضاً قد حضر بقلب وعقل خاصين ليوم خاص.

ابتسمت منيرة مشيرة إلى موافقة، ثم قالت: عليك تحمل العواقب. أنا لا أجيد الرقص.

وائل: على الرحب والسعة.

بينما يرقصان...

وائل (قلق): الجو بارد؟

منيرة (لا تكف عن الابتسام): أجل، لكن ليس بذلك السوء.

وائل: هل قمت بعملية للندبة التي على ترقوتك؟

منيرة (تحاول أن تعرف مقصده دون جدوى): أي ندبة؟

وائل: هنا. (وضع إصبعه دون انتباه ومراعاة على ترقوتها اليمنى، فارتعشت، وحاولت الابتعاد)

منيرة (بتعبير غريب): أه... أه آه... لقد رأيت بهيرة في الحفل السابق، وليس أنا. ألم تخبرك بهيرة إنها انتحلت شخصيتي؟ لقد فعلت هذا لأني لا أحب المناسبات الاجتماعية كثيراً... آسفة لأني كذبت.

وائل (يضحك): آه لو كان لي توأم... أنتِ محظوظة. بالمناسبة رقصك جيد.

منيرة: مشي البطاريق أصبح رقصاً؟ أعني شكراً...

وائل: هل انتهت النسخة الخاصة؟

منيرة (لم تعره بالاً): لا تتركني اليوم فأنا لا أعرف أحد غيرك هناك. هذا رجاء من قلب صادق.

وائل: هل بدأت تحبينني؟

فتحت منيرة عينيها، وصرخت: هل ترغب في الموت؟

ضحك وائل، وقال: هذه هي فتاتي. بالمناسبة لا ضير أبداً في أن تحبيني لأني أحبك أيضاً.

توقفت منيرة عن الرقص، وابتعدت عنه قليلاً، وقالت: بعدما أتيت إلى هذا المنزل سأفكر مجدداً في هذا الأمر... أنظر إلى كل هذه المساحات الشاسعة. (وقفت إلى جانبه)

وائل (وكأنه يحدث نفسه بصوت منخفض): هل صراحتك هذه تدل على كونك تشعرين معي بالراحة؟ هل أنا سيء للدرجة التي أحتاج بها إلى كل هذه الأراضي لتحبيني؟ (ثم أكمل كلامه بخواطر اجتاحت قلبه: هل لا أمتلك أمل معك أبداً؟ أنا الذي لم أحب أحد سواك؟ ماذا علي أن أفعل؟ لقد سرت في طرق شتى لأنال حبك)

اختفت ابتسامة منيرة، وأحنت رأسها قليلاً للأسفل، ثم أمسكت بقوة بكم سترته، لم يجرأ وائل حتى أن يحرك جفنه، وقد عرف كل ما أرادت قوله من دون أن تتكلم بحرف.

همس صوت في داخله: لا بأس أن أنتظر أكثر... لا تخافي أنا هنا لن أتركك.

****

بينما يرتدي وائل سترته ليخرج تقترب والدته منه لتهمس قائلة: هناك شيء أود أن أعترف لك به...

يحدق وائل بها، وهو يتوقع ما ستقوله عن الفتاة التي أحضرها، وعن كونها غير مناسبة، وإنها تمتلك فتاة أفضل ليتزوج بها.

الأم: ربما لا تعلم، ولكنك أعز أبنائي، لأنك إنسان بكل معنى الكلمة، ولديك طموح، وتشبه والدك كثيراً حين كان في شبابه.

وائل (يبتلع ريقه، ويتحدث وهو يصر على أسنانه): أنا لا أشبهه.

الأم: حسناً... لا تشبهه. اسمعني حتى النهاية لتذهب إلى فتاتك بسرعة.

وائل: تفضلي.

الأم: أنا كنت من عائلة فقيرة أيضاً، ولا أعلم القواعد... كنت أمتلك جمالي فقط، كنت ممرضة جدتك، ثم تزوجت والدك... ذلك الوقت لم يكن والدك ثري لهذه الدرجة، ولكنه كان من عائلة عريقة معروفة لا تميز بين الناس... منيرتك أفضل مني.

وائل (مرتبك للغاية): أمي؟

الأم: نعم أنا... وهذا سر

وائل: لكن عائلتك معروفة...

الأم (تضحك): قمتُ بشراء بعض الأملاك لوالدي بعدما تزوجت، ودخل خالك المجال السياسي بعد ذلك.

وائل: أمي؟

الأم: ماذا ولدي العزيز؟

وائل (مضطرب للغاية): العزيز أنا؟

الأم: لا تكن طفلاً... اذهب لمنيرتك المتجمدة من البرد إنها تناسبك حقاً.

وائل (أحكم قبضته): آه... منيرة نسيتها. مع السلامة أأأأأ أمي. (فتح السيارة عن طريق جهاز التحكم، وأخذ وردة حمراء من المزهرية، وركض للقاء منيرة)

الأم (نادمة): أمي! المرة الأولى التي أسمع فيها هذه الكلمة. هذا خطأي لقد انهمكت جداً في تمثيل دور السيدة الثرية الحازمة.

في الخارج...

لوح وائل لمنيرة كطفل سعيد، وصنع إيماءات تدل على الأسف الشديد.

منيرة (غاضبة): وهل تجرأ على أن تتظاهر بالبراءة بعدما أهانني الجميع هنا... وأنت أولهم؟

وائل: أنا؟

منيرة: لم أكن أغضب إن عاملني الجميع بسوء، ولكن أنت... أنت لا تعلم شيء، الحب كرعاية الشجرة تحتاج صبراً وعناية دقيقة، وأنت أحمق كبير.

وائل (يحاول أن يستوعب كلامها): هل تمزحين؟ كشفت مزحتك... لا تستطيعين الكذب.

منيرة (اشتعل وجهها ناراً): عاملتني كزوجتك هناك، وفعلت أشياء وكأننا مقربين جداً... جداً، لتثبت شيء ما في داخلك لأسرتك، وتظهر مقدار سعادتك. ثم أهملتني حين احتجتك. والأسوأ لم تخبرني أبداً بزواج دمية وبيلسان القريب... حين سمعت ذلك منهم بدا على

وجهي تأثير المفاجأة... لقد قالت لي زوجة أخيك إنني شخص لعوب لا يصلح للزواج... وإن الإشاعات صحيحة... وإني فتاة لا تحمي سمعتها... من؟ أنا؟

وجد وائل صعوبة في فهم ما تقوله، فقد كان كلاماً كثيراً تدفق بسرعة، وما فهمه منها كان لا يفسر غضبها على الإطلاق، وهذا ما جعله غاضباً جداً.

وائل (امتص كل غضبه): لحظة... بالنسبة لزواج بيلسان خفت أن تؤذى مشاعرك إن عرفت، وبالنسبة لزوجة أخي أخبرتك إن هذا طبعها، ثم لا حاجة لك بالغضب من كلام نعرف يقيناً إنه ليس صحيح... أعلم إن الوقت غير مناسب (ابتعد قليلاً وقدم الوردة لها) هل تتزوجيني؟

ظنت منيرة إنه يمزح، فضحكت قائلة: صحيح إني غاضبة جداً، ولكن لا أحتاج لمواساة من هذا النوع. لقد فهمتني خطأ... ولست غاضبة إلى هذا الحد.

تحطم وائل كلياً لاعتقاده إنها تجاهلته، وقال بهدوء: لم تكن مواساة.

ثم ركب السيارة، وقال: هيا اصعدي ستمرضين.

منيرة: أوه... ماذا به؟... هذا غريب!

في السيارة...

منيرة: ألم ترد أن تثبت لزوجة أخيك إنني أصلح للزواج بطلبك قبل قليل؟

وائل: هل ستسافرين حقاً؟ لم تخبريني بذلك... وما صدمني حقاً إنها ثلاث أشهر.

منيرة: أجل سأسافر، وقد أخبرتك سابقاً إنني قد أسافر كثيراً في الآونة القادمة.

وائل: لكن لم تخبريني إنها بعد أسبوع... لم تخبريني إنها لمدة ثلاث أشهر.

منيرة: لقد اتفقنا على ألا نقيد بعضنا... هذا عملي الذي أحبه، وسأفعل كل شيء يحتاجه.

وائل (صرخ): هل طلبت منك ترك العمل؟ فقط أردت أن تخبريني أنا الشخص الذي بجانبك الآن.

منيرة: أنت... لا تكذب على نفسك، وتصدق الأمر، علاقتنا ليست من هذا النوع.

وائل: أي نوع من العلاقات علاقتنا؟ أي نوع من العلاقات التي تزورين فيها عائلة الرجل كخطيبته؟... تقولين إن الحب كرعاية الشجرة، أنت لا تعرفين كيف يبدو شكل الشجرة أصلاً.

منيرة: وأنت ماذا تعرف؟ لم تحب أبداً شخص آخر.

وائل (يضحك بألم): صحيح... لم أحب طوال سنوات حياتي غيرك... يا لي من أحمق! أستحق العقاب على ذلك!

منيرة: مثل كل مرة تتحول لشخص درامي مثير للشفقة، وتحملني عبء إنك لم تكن في علاقة إخلاصاً لي. ماذا أفعل أنا التي لم تحبك أبداً؟ لقد كنت قدوتي... لماذا اقتربت مني؟ كنت رائعاً للغاية وأنت بعيد... كنت نجمة تقودني للطريق الصحيح... لقد تحطم كل شيء الآن.

صمت وائل، وانغمس في أفكاره يبدو كمقاتل خرج من أهم معاركه مكلوم، ويشعر بالعار الذي لا يذهب، لا هو يستطيع التعافي والانتصار مجدداً، ولا هو يستطيع الموت بسلام وشرف.

تسرب من أقصى البعيد كلام لم يسمعه حتى، لكنه أيقظه من حالة الغياب الروحي التي أصابته فقال: تتحدثين معي؟

منيرة: أجل... أنا آسفة جداً... بالغتُ قليلاً. لم أكن أعني كل ما قلته... وعلاقتنا ليست من ذلك النوع الذي يجعلنا نصل إلى شجار كهذا.

وائل (يضحك ساخراً): مجدداً؟ تلك العلاقة؟ لم تبالغي... قلت ما تشعرين به حقاً، وهذا حقك... أنا من سيعتذر لأني اقتربت منك وأنت لا تريدين ذلك، ليكن سفرك فترة النقاهة... دعينا لا نكلم بعضنا خلالها لتفكري بدون أن أضغط عليك، أو أؤثر بأي طريقة على قرارك النهائي، أنا أحبك وسأستمر في حبك... إن شئتِ عودي سأكون بانتظارك لنجد مسمى لهذه العلاقة التي لا تسمح لنا بفعل أي شيء حتى الغضب.

منيرة: فكرة جيدة لنمضي في تنفيذها، لا بد إنك أيضاً بحاجة لوقت تفكر فيه في مشاعرك... لا أظن إنني الإنسانة الصحيحة لأحلامك وتوقعاتك بكل صدق. (تقول في نفسها: قل إنك لا تريدني... أنت تقول هذا الكلام، وأنت تعلم إني لن أعود... لو تمسكت بي قليلاً... لو صمت فقط... لكنت الآن أنا من يطلب الزواج منك)

شعر وائل باستفزاز كبير لمجرد سماع صوتها، وكلامها زاد الطين بلة.

أوصلها إلى المنزل، فتمنت له حياة سعيدة، وكل المجد والتوفيق، والمزيد من الشهرة والنجاح، واعتذرت مجدداً لأنها أساءت التصرف، ولم تتصرف بحكمة، وهو لم يشأ حتى رؤية وجهها، فأومئ ببرود وذهب.

شعرت منيرة بأنها خرقاء لأنها جرحت كبرياءها، واعتذرت من شخص كهذا. هل كان حقاً دائماً من هذا النوع الأشخاص؟ كيف لم تلحظ ذلك؟ كيف خُدعت بمظهره الطيب؟

وائل أراد أن يحطم مقود السيارة بمجرد أن أبتعد عن منيرة، وصرخ بصوت عالٍ: ترفض طلب الزواج، وتهزأ به، ثم تعتذر؟ أنا الشخص الذي لا يريد رؤيتها؟ أنا لا أحملها عبء شيء. متى فعلت ذلك؟ حتى إنني لا أعمل بجد منذ أيام من أجل أن يلائم وقتي وقت فراغها... ما العيب في عن قرب؟ هل كان علي أن أحبك من بعيد إذن؟ أريد أن أتزوج بك... هل كان علي أن أكون جماد لأكون قدوتك؟

الحب يحتوي على معاني الكره مثلما يحتوي على معاني الحب...

يحتوي على معاني الغضب والحزن والوحدة والضياع بقدر احتوائه على معاني السكينة والسرور والدفء والأمان...

لذلك "أن أحبك" أمر غامض عصي على الفهم بالنسبة لي كما هو حال الثقب الأسود بالنسبة لهذا الكون.

الفصل الثالث: بعد الاعتراف

مطر غزير... ليل طويل

١

المستهل

يستيقظ وائل عند الثالثة صباحاً مُتعكر المزاج، هذه ليست المرة الأولى التي يستيقظ فيها مبكراً، فبعد شجاره مع منيرة هذا يحدث غالباً.

مضى الأسبوع الأول وهو لا يفكر فيها حتى وهي لم تسأل عنه، ولكن منذ بداية الأسبوع الثاني بدأ بقضاء ساعات النهار الأولى يتقلب في سريره، ويمسك هاتفه ليرسل لها رسائل تعبر عن شوقه عبر تطبيق كاكاو، وما كان يقلقه إنها لم تقرأ أي رسالة من رسائله.

يتقلب اليوم أيضاً في السرير، ولسبب مجهول يشعر اليوم بنشاط وحيوية لم يشعر بها في الآونة الأخيرة.

يخرج دفتر ملاحظاته من الدرج المجاور للسرير، ويدون بعض الأفكار الخام لأحداث فخوراً بنفسه.

يُقرع الباب عند الرابعة صباحاً، يعتقد وائل إن حارس المبنى في جولة تفقدية، وقد اصطدمت يداه بالباب من دون قصد... يتكرر القرع، فيبدأ بالتساؤل إن كان يتخيل هذا القرع أم إنه حقيقي؟... يُقرع الجرس هذه المرة، ثم صوت فتح القفل.

وائل: قلة النوم تجعلني أتخيل أشياء غريبة، سأعود للنوم.

تُفتح الإضاءة خارجاً، ثم إضاءة غرفة وائل، ثم يقول صوت أنثوي: لماذا تتجاهلني إذا كنت مستيقظ؟

يبحث وائل عن مصدر الصوت، فيرى ظلاً ينعكس على أرضية الغرفة مما يتسبب في ارتعاد فرائصه، ثم تدخل الفتاة، وترفع القبعة عن رأسها، وتقول: هذه أنا.

وائل: وعد!!!!!!!!!! ألا تعرفين الأوقات المناسبة للزيارة؟ ألا تعلمين إن زيارة منزل رجل في هذا الوقت أمر خطر؟

وعد: منذ متى تعتقد إن هناك حدود بين الرجال والنساء؟... على الأقل بيننا نحن لا توجد هذه الحدود.

وائل (يتنبه إلى هيئة وعد الغريبة): وعد ما خطب لون وجهك؟ لماذا أنت هزيلة لهذا الحد؟

تتقدم وعد نحو سريره، وجلست بالقرب منه. يشعر وائل بالاضطراب الشديد، وليخفيه يقول: سأذهب لتنظيف أسناني وأعود.

فتتبعه للحمام، وتقول: لا وقت لدي لأنتظرك... (تسند ظهرها على الباب) تزوجني.

وائل (يغسل وجهه، ويضحك): هل تتعاطين الممنوعات؟ أظن ذلك بالنظر لوجهك.

يخرج وائل من الحمام، ويجلس على الأريكة يقلب كتاب (حراس الماء) الموضوع على الطاولة لا يبدي أي اكتراث بما قالته قبل قليل، ويقول: هل قرأت هذا الكتاب من قبل؟ إنه رائع. أنصحك به.

يحاول وائل منعها من التحدث بكلام عديم المعنى لأنه لا يريد أن يخسر صداقتهما الجميلة، وتمر في باله كل تلك السنوات التي كان يستمر بالعيش متفائلاً بفضل الله ثم مساندتها.

وعد: لنتزوج. أنا سأموت بعد شهرين. أنا مريضة.

وائل (يحاول أن يخفي صدمته من خبر مرضها): قصة جيدة.

وعد (ببرود): وهل تراها هكذا أيها المتعجرف؟

وائل (يريد أن يحتضنها، لكن ليس في هذا الوضع الغريب): لا تتزوجي بمتعجرف.

وعد: سأموت قبل عودتها، ولن تعلم بزواجنا. أنا أعلم إن سفرها سيستغرق ثلاث أشهر.

وائل: هذا الكتاب هو عبارة عن رواية تتكلم عن الحياة بعد نفاد الموارد الطبيعية.

وعد (لا تأثير على محياها، وصوتها هادئ): لا أريد الموت وكلمة عزباء في سجلاتي الرسمية، أريد أن أجرب كل شيء قبل أن أموت.

وائل (يكظم غيظه): ابحثي عن رجل آخر.

وعد: أريد الزواج بمن أحب.

وائل: ما هذا الكلام؟

وعد: أريد أن أصبح أنانية للمرة الأولى، والأخيرة في حياتي.

وائل: سئمت من كلامك. هلا خرجت من منزلي؟

وعد: عندما تتصل بي أو تراسلني أو تأتي لزيارتي لتخبرني أن منيرة لا تحس بوجودك كرجل في حياتها بينما أنت تقدم لها أفضل ما تستطيع القيام به، أنا أضحك... لأنك أيضاً لا تشعر بوجودي كامرأة بينما أنا أقدم لك أفضل ما عندي.

دخل وائل في حالة سكون، وتفكير عميق

وعد: أنا مغادرة... شكراً لك على كل شيء.

****

يذهب وائل للعمل صافي الذهن كما لو إن شيئاً لم يحدث هذا الصباح، يشعر باطمئنان داخلي كما لو إنه يملك العالم، كما لو إن جميع مشاكله حُلت.

يتذكر وائل ما حدث صباحاً بينما هو جالس يتناقش مع لانا على الطاولة الدائرية، فيسأل عن حقيقة مرض وعد.

فتضحك لانا، ثم تربت على كتفه، وتجيب: عار عليك أن تسأل هذا السؤال.

وائل: لماذا؟

لانا: أنها مريضة منذ سنتين أو أكثر بقليل... كانت تأمل أن تشفى لكنها الآن في المراحل الأخيرة... لا أمل لها، إنها تموت الآن.

تتكرر جملة "إنها تموت" في إذنه حتى إنها تكاد تفقده صوابه، يضع رأسه على المكتب، وطمسه بين الأوراق، إنه يشعر بالعار والخزي.

يسأل لانا عن المستشفى الذي تقيم فيه، ويطلب منها إرسال باقات زهور لغرفتها، فترد قائلة: سأرسل الزهور... ولكن وائل عليك أن تذهب بنفسك... تجاهل أصدقائك تصرف قاسٍ.

وائل: هل زيارتي ستشفيها؟

تنهض رانيا من مكتبها، وتجلس إلى جانبهم على الطاولة الدائرية، تقول: وهل الزهور ستفعل؟ هل تذهب لزيارة أصدقائك فقط لأن هناك فائدة ما؟

٢

رسالة حب للأصدقاء

يخرج من العمل مبكراً، ويذهب وائل لزيارة وعد بالمستشفى.

يتردد كثيراً في الدخول إلى غرفة وعد، ثم أخيراً يدخل، يتراءى له شبح إنسان مستلقٍ على السرير، يدعو الله أن لا يكون هذا الجسد الهامد لوعد، ولكن سرعان ما سيكتشف إنها بالفعل هي، ثم يصيح بصوت عالٍ: هل هذا وقت المزاح؟ أيمكنك حتى المزاح بأمر كهذا؟ لقد افتتحتِ مكتبك الذي عملت من أجله بجد منذ بضع شهور.

وعد (تظهر ابتسامة باهتة على محياها): لقد أتيت... لم أكن أظن إنك ستأتي. أوه... لا أريد أن تراني في هذا المنظر...

وائل (يتحدث بطبيعية): في كلتا الحالتين رؤيتك تؤلم عيني.

وعد (مبتسمة): لا بد إن عينيك تالفة... لقد سامحتني إذن!

وائل: لا يمكن أن أخفي عليك شيء.

وعد: بالطبع. هذا لن يحدث ما دمت حية.

تصيب هذه الجملة موقع حساس في عقله، فيذهب لون وجهه، ويقشعر جلده.

وائل: لن تموتي بهذه السهولة.

وعد: ليس بهذه السهولة وائل... يا صديقي أنا أقاوم منذ سنتين ربما ثلاث أو أربعة... لست واثقة، ولكن الآن أنا متعبة أرغب بالموت حقاً الآن.

وائل (تغرورق عينيه بالدموع): لمَ لم تخبريني؟

وعد: لا أريد أن أرى الدموع في عينيك... الشفقة عدو التفاؤل والاستمرار بالعمل الجاد.

وائل: لكن نحن أصدقاء.

وعد: مؤكد، وهل نحن غير ذلك؟... أنا كنت بخير، وما أزال، وحتى اليوم الذي سأغادر فيه سأكون بخير. أنت حتى لم تستطع ملاحظة ذلك. أتفهمني؟

يصمت وائل لبرهة، ثم يفكر في الطريقة التي تجعل تصرفاته لا تبدو كشفقة، ثم يقرر ألّا يشعر بالشفقة بدلاً من إخفاء شعور الشفقة، فمهما طال إخفاء الأمر سيظهر بطريقة أو بأخرى.

وائل:أفهمك... بكل تأكيد. (يسحب أرنبة أنفها) لكن هناك شيء ما يثير فضولي...

وعد: ما هو؟

وائل (يبتسم): هل تستطيعين مغادرة المستشفى؟

وعد (أشرق وجهها): بالتأكيد. ولكن لاحقاً أخبرني ما الذي يثير فضولك حقاً.

وائل: أريد أن أخفي عليك شيء. أليس بإمكاني ذلك؟ هذا مزعج.

في السيارة...

وائل: افتحي موقع متجر الحسناء، واختاري ثوب زفاف من أجل صور الزفاف.

وعد: وائل!

وائل: نعم يا أميرتي.

وعد: وائل!

وائل (يخفي ضحكته): ماذا؟

وعد: وائل! أنا لا أحب الشراء عبر الإنترنت... أحب أن أتسوق بنفسي.

وائل: هذا فقط؟ لك ذلك. لكن حجزت لك موعداً مع مركز الزهرة للجمال، ظننت إنك... ربما...

وعد: حقاً؟ (وضعت رأسها على كتفه) لا يوجد منك اثنان.

وائل: ولا منك.

وعد: لا تقلق سأستغل الوقت جيداً.

٣

مصادفة

لم يحاول وائل حتى التفكير بـ منيرة، لأنه لو فعل ذلك للحظة سيشعر بالاختناق، وسيرغب بالموت، فهو كشخص لم يحترم وعده، وطعن الشخص الذي بجانبه من الظهر، وكرجل يبدو الأمر كما لو إنه لعوب، وبالنسبة لـ وائل فـ منيرة ليست مجرد امرأة... إنها طريق حياته، لذلك بدل هاتفه لهاتف من الجيل الثاني حتى لا يستطيع تثبيت أي تطبيق، أو حتى التأكد من بريده الشخصي، وترك أي شيء قد يذكره بشكل أو بآخر بـ منيرة، ولكن الرياح لا تجري بما تشتهي السفن عادةً، وسيتذكرها رغماً عنه شاء أو أبى.

بحُلة مختالة تليق بأبهى عريس يمشي ممسكاً بعروسه التي تبدو كملاك شاحب باللون الأبيض، وبالرغم من إنها ليست بخير، ولكن ملامحها تحتضن في طياتها ارتياح عظيم.

يصلان إلى أستوديو التصوير الأكثر شهرة، وإتقان في عمله في المدينة.

وفي الباب يلتقيان ثنائي متحاب سعيد يعرفانه يوشك على المغادرة.

قالت دمية: وعد هل يبدو فستاني الوردي هذا قصير جداً؟

وعد: إنه قصير، ولكن ليس كثيراً، خاصة إنك ترتدين جزمة.

دمية (سعيدة كطفلة): شكراً. أرأيت بيلسان؟ وتهانينا على الزواج، ويسعدني حقاً إنك من ظفرت به، وليس تلك ألـ منيرة.

بيلسان (معتم): ماذا تفعل هنا سيد وائل؟

وائل (بثقة، وبرود أعصاب): ألتقط صور زفافي بالطبع.

يلكم بيلسان وائل لكمة طرحته أرضاً، وثم يقول باغتياظ شديد: أيها الوغد الجبان! تشاجرتَ مع منيرة قبل سفرها لتتزوج بأخرى؟ على الأقل اتصل بها، وأخبرها إنك ترغب في إنهاء العلاقة.

يقف وائل وينفض ملابسه، ويلكم بيلسان لكمة قوية تتسبب بنزيف لثته، ويرد بثقة ودون تفكير: بما إنك تحبها لهذه الدرجة، لماذا تركتها؟

دمية (يذهب لون وجهها): بيلسان!

بيلسان (يمسك يد دمية): أنا أحب الفتاة التي سأتزوجها فقط، وهذا لا يمنع أن أكون إنسان بضمير حي يدافع عن المظلومين، وخاصة إن كان صديق... هذه عادة لدي اكتسبتها من مهنتي. كنتِ تبدين أكثر احتراماً يا آنسة، وأرفع بكثير من هذه الأفعال الوضيعة.

وائل (أمسك ياقة بيلسان): آخر شخص يتحدث عن الاحترام أنت، وكفاك تدخلاً في حياة الآخرين.

بيلسان (يبتعد): سأتركك وشأنك... ولكن أنا متأكد إنك لا تعرف منيرة حقاً، ولو عرفتَها كما عرفتُها لما تركتَها.

وائل (يصاب بارتباك شديد لأن ما قاله بيلسان تواً صحيح جداً، فهو لا يعلم إلا النزر القليل عن منيرة): ودليل معرفتك الحقة بها إنك ستتزوج دمية؟

دمية (حانقة): لقد دمرت يومي يا وائل شكراً لك. سأذهب.

يمسك بيلسان يد دمية أقوى، وينظر إلى عيني وائل، وفي عينيه نظرة الانتصار، ويقول: أنت لا تعرف سوى نفسك للأسف، ولستَ سوى متعجرف مغرور... لم تعرف دمية، ولم تعرف منيرة، ولن تعرف تلك الحمقاء التي تقف بجانبك أيضاً.

دمية (تخرج لسانها ثم تذهب لعض يد وائل): لا تحاول الإيقاع بيننا يا مغفل...

وائل: أنا آسف، ولكن أنتما اللذان تعرضتما لي أولاً... ثانياً حلي مشاكلك بعيداً عني... وثالثاً لا شأن لكلاكما بحياتي... أنا لستُ شخص سيء، ومنيرة تعرف ذلك يقيناً، وستسامحني.

يمسك يد وعد، ويغادر مسرعاً، تلتفت نحوه وعد، وتنظر في عينيه، وتقول: شكراً لأنك تعلم إنك شخص جيد.

دمية: بيلسان.

بيلسان: نعم دميتي.

دمية: بما إنك محامي، هل جملته الأخيرة مبهمة وهناك إيحاءات أخرى خلفها؟ أم إني أتخيل؟

بيلسان: لا أنتِ محقة... لكن منذ متى تعرفين كلمات صعبة كـ "مبهمة" و"إيحاءات"؟

دمية: أنا أقرأ الكثير من الكتب لأفهم ما تقوله.

بيلسان: هل مفرداتي معقدة للغاية؟

دمية: أوه... كثيراً... ولكن الشكر لك لقد اكتشفت عالم جميل بفضلك. كيف كنت أعيش بدون كتب؟

٤

صدق... ومزاح... واختلال... وكذب

لا يستطيع الحب أن ينمو في منزل جدرانه الصداقة، ولا يستطيع أن يبقى إن لم يُسقى بالصداقة، ولا يستطيع الحب العيش متنكراً بزي الصداقة لوقت طويل.

تطلب وعد من وائل أن يوصلها لعمارة تقول إن فيها شقتها، وتطلب منه أيضاً أن يرافقها إلى الأعلى، لتريه شقتها.

في الشقة...

وائل: ألا تعيشين في حي التضامن مع أسرتك؟.

وعد: كان حلمي أن أمتلك مكتب، ومنزل لأتزوج به، وأعيش به مع أطفالي، وقبلها أعيش فيه لوحدي، وقد عملت بجد من أجل تحقيق أحلامي وأن كان ما تبقى لي على الأرض ليس سوى أيام معدودة.

وائل: هل تعلم أسرتك بمرضك؟

وعد: يعلمون إني مريضة بمرض مزمن فقط. وقتي قليل لذلك عليك أن تسمعني.

وائل (يمسك يدها): أنت من سيسمعني. أنا مستعد وبشكل كامل للزواج بك... كنت متردد بعض الشيء... ولكن بعدما رأيت بيلسان عرفت إنني أعرف منيرة حقاً، وأعرف إنها ستفهمني، وحتى وإن لم تفعل، سأحاول ألف مرة لأجعلها تفهمني كما فعلت أول مرة حين أردت لفت انتباهها... وإن لم تسامحني إذن أنا كنت مخطئ من البداية في حبي لها... لقد كنت أتخيل شخص بمواصفات معينة لا تنطبق عليها، والأحرى بي تركها، لذلك لا تلقي بالاً لأي كلام سمعته اليوم.

تجلس وعد، فيجلس وائل، وتسحب وعد يدها، وتمسك وجه وائل، وتنظر في عينيه، وتقول: وائل أنا أيضاً أحببت صورة كونتها في داخلي عنك على الأرجح، أو إنني أفضل صداقتنا الرائعة على حب فاشل... وائل لا تعلم مدى ندمي على البوح لك بمكنونات نفسي، لقد اختفى كل ذلك الوهج في داخلي حين أخبرتك، كان عبارة عن مزيج من الصدق، والمزاح، والاختلال العاطفي، والأكاذيب التي كذبتها على نفسي إن صح التعبير، ولا أريد أن أنهي صداقتنا بسبب ذلك، فهي أسمى بكثير من هرطقة المراهقين. (تنزل يديها، وتبتعد قليلاً عنه) لا أهين الحب إنما ما بيننا إن لم يكن صداقة لن يكون شيء

آخر سوى هرطقة مراهقين، ومنيرة لك تعني كل الحياة، ليس لأنك تقدس الحب، وشخص رومانسي وما إلى آخره... لا... بل لأن الخالق أرسلها إليك في الوقت المناسب لتصبح اليد التي تسحبك من زوبعة الغرور الخاصة بالأثرياء... لتكون لك الظل الذي يساندك في وحدتك... لا أقول إن نجاحك كان بسببها... لا بل بسبب توفيق الخالق الذي رأى اجتهادك وإصرارك وعزيمتك ورأى قلبك الطيب الذي ساعد جميع البشر، لأنك عملت بثقة ورفضت أي شيء محبط... أنت نجحت، مع هذا أعتقد إن منيرة بالرغم من مخاوفها الكثيرة، وشخصيتها المتقلبة أفضل شخص سيكون بجانبك مدى الحياة إن سارت الأمور على ما يرام، وأنا كصديقة لا أريد أن أكون العقبة ضد حياة سعيدة لأي شخص... لن أغادر براحة هكذا.

وائل (مبتسم): أنا غاضب لأنك تجيدين الكلام بهذا الشكل الساحر.

وعد: لا تحبس دموعك فقط ابكي.

وائل: تباً لك... كيف عرفت هذا أيضاً؟ سأغادر حتى أبكي براحة.

وعد: شاهد فيلماً حزين، وتناول أطعمة غنية بالفلفل الأحمر.

وائل: حسناً... ألن تذهبي للمستشفى؟ ألا تريدين أن أوصلك؟

وعد: غداً صباحاً تعال لأخذي لهناك.

وائل: تجيدين قيادة السيارات، ولديك سيارة ودراجة نارية. لماذا علي أن أوصلك؟

وعد: لأني إن قلت لا ستأتي، وإن وافقت لن تأتي. هكذا كنت أعاملك طيلة السنين الماضية، وكان الأمر ينجح دائماً.

وائل: لقد كنت تتلاعبين بي؟

وعد (تضحك من قلبها): بالطبع يا صديقي، ومن غيري سيفعل؟

٥

ثرثرة

في يوم غائم عاصف يجلس وائل على أرجوحة أمام بركة ماء جميلة في منزل عائلته في الضاحية، ينغمس في التفكير، ثم يقول: أيتها الكاتبة هل كنت تعرفين بمرض وعد؟

الكاتبة: أجل.

وائل: لماذا لم تخبريني؟

الكاتبة: لأنها ليست الطريقة المثالية... أنا أؤمن إن الإنسان يعرف ما عليه معرفته في الوقت الذي هو مهيأ تماماً لمعرفته... لا قبل ولا بعد ذلك.

وائل: جعلتني أحمق أناني لا يهتم سوى بنفسه في روايتك.

الكاتبة: ما هي حقيقتك إذن؟

وائل: أنا؟ رجل صالح متفائل، وواثق، وأحب كل الناس، لدي الكثير من النواقص، لكني أبذل جهدي لإصلاحها.

الكاتبة: حقيقتك لا أنا ولا أحد غيري بإمكانه تغييرها بما إنك تصر على المحافظة عليها... أنا لا أنقل سوى ما تخبروني به... وما يحصل معك هذه الأيام ليست سوى تحديات من نوع مختلف عن تلك التي تغلبت عليها... تحلى بالقوة يا صديق، ابحث عن القوة في أعماقك ستجدها مؤكد. ماذا تفعل هذه الأيام بالمناسبة؟

وائل: أعمل، أزور أصدقائي، أقوم بالواجبات الاجتماعية... وأزور وعد في المستشفى. هل تسألين لأنك لا تعرفين؟

الكاتبة: أجل. فأنا لا أحب أن أكون متطفلة على جميع نواحي حياتك في كل الأوقات.

وائل: وعد أخبرت أهلها برحيلها القريب عن هذه الحياة، وتريد أن تسافر، ولم تخبرني عن وجهتها، وتريد أن تقضي أيامها الأخيرة وحدها. هذا يقلقني.

الكاتبة: دعها تفعل ذلك، أنت تعلم جيداً إنها تحتاج لذلك.

٦

<u>سأشرق كشمس صيف بعد شتاء طويل</u>

"هذه اللحظة هي أثمن ما أملك، لا يهم ما حدث في الماضي، ومن يهتم بما سيحدث بالمستقبل... مخاوفي تقيدني عن عيش حياتي، وعن رؤيتك وائل،اكتشفت هذا متأخراً. أليس كذلك؟ لذلك أنا أطلب منك أن تسامحني، وأنا موافقة على قضاء ما تبقى من حياتي معك. لنتسلق جبال الحياة معاً".

هذا ما كتبته في البطاقة التي أرفقتها مع حقيبة الظهر الثنائية الخاصة بالرحلات ذات العلامة التجارية الشهيرة.

منيرة الممتلئة بالشوق والأسف والندم تذهب لرؤية وائل في مبنى عمله ما إن تصل لأرض الوطن.

تدخل إلى مكتبه متلصصة، معظم العاملين كانوا في موقع العمل لذلك لم يلاحظها أحد، تفتح الباب، فإذا بها ترى وائل جالس على المكتب، ويحتضن لانا الواقفة إلى جانبه، وهو مبتسم. تسقط الحقيبة من يدها، وترتطم بالأرض، فيحدث ذلك صوتاً عالياً.

يترك وائل لانا، ويرفع رأسه، فيراها، يركض نحوها كما لو إن كل الأفكار عنها، وكل الشوق نحوها الذي كبته كل تلك الفترة تدفق بقوة، فأغرقه.

يقف أمامها، وهو يبتسم، ويقول"اشتقت لك"، ثم يعانقها، فتدفعه بعيداً" وهي في حالة ذهول، وتقول: أنا... لماذا وثقت بك، ولم أصدق كلام أشخاص أثق بهم؟ إنها متزوجة.

وائل: سأشرح لك.

منيرة: لديك قصة لكل شيء واثقة.

وائل: إنها صديقتي... والعناق بين الأصدقاء شيء جيد.

منيرة: أنا من عائلة محافظة، وحتى ولو لم أكن من عائلة محافظة، أجد هذا الذي رأيته سيء كامرأة.

تمشي منيرة بخطوات كبيرة وسريعة مبتعدة عن وائل الذي يتبعها، ولكن لا يستطيع إيقافها عن الرحيل.

يعود لمكتبه فيجد لانا تحمل حقيبة في يدها، وبعد لحظات صمت تقول: إنها محقة... ونحن لا ننكر إني عبرت لك عن مشاعري مراراً.

وائل: نحن أصدقاء، والأصدقاء يتعانقون.

لانا: صحيح، ولكن لماذا لا تعانق أصدقاءك الشباب؟

وائل: أنت بجانب من؟

تضحك لانا بخبث، وتطلب الإذن للمغادرة للموقع.

ينتبه وائل للحقيبة التي في يدها، فتخطر في باله فكرة، فيقول: أليست هذه حقيبة منيرة؟

لانا: أجل. سأضعها في مكتب رانيا لتستعيدها متى ما أتت.

وائل: وهل تعتقدين إني سأنتظر حتى تأتي لأخذها؟

افعل ما يقودك عقلك وقلبك نحوه

يتصاعد غضب المرء في بعض الأحيان إلى عنان السماء، وهذه الأحيان هي مقاييس لحكمة المرء ورجاحة عقله، عليه ألّا يحكم على الأمور بصفته مظلوم يطالب بحقه، بل بصفته قاضي يبحث خلف الدلائل، ويتأكد منها، ثم يصدر الحكم حتى وإن كان الحكم ضده.

في الحياة غالباً وفي ردود الفعل السريعة هذا لا يحدث، فإما أن يكون المرء مدعي عام أو محامي، ولا بد إن معظم البشر كانوا مدعين عامّين يتهمون المقابل بأبشع الجرائم في أغلب الأحيان، وبعد مرور رياح الغضب يظهر القاضي في داخل المرء، وغالباً أيضاً ما يحكم لصالحه، أو على الأقل يجعل الحكم مرضيٍ للطرفين. لكن كلما ازداد حب المرء للطرف الآخر في النزاع، كلما مال إلى إعطاء الحق لغريمه، والدفاع كمحامي شرس عنه، بل وتجريم نفسه بأبشع الجرائم، وتأنيب نفسه بدون رحمة.

ومنيرة ليست سوى شخص محب... لو كانت تحبه من أجل الحب وأشعاره لكانت أعطت لنفسها الحق لتتغنى بما تشاء من الأغاني

الحزينة التي تتخذ الخيانة والطعن بالظهر موضوع لها، بيد إنها تحبه لصفاته، شخص يحب شخص، وليس امرأة تحب رجل.

تؤنب منيرة نفسها على ردة فعلها الحادة بعد غياب ثلاث أشهر، وعلى عدم إعطاءه فرصة ليدافع عن نفسه، وعلى تظاهرها بعدم معرفة طبيعة علاقته بأصدقائه، وهي تعلم جيداً كيف هي.

ينتاب وائل الفضول لمعرفة محتوى الحقيبة، وفي إشارة المرور المزدحمة يفتحها، ويطّلع على محتواها.

يطلع على الرسالة، ويغمره السرور، يعيش لحظات من الدهشة والامتنان والسكون، ويقرر تغيير وجهته لشقته ليحصل على حمام دافئ، ويغير ثيابه، ويأخذ الخاتم الذي اشتراه ليتقدم لخطبتها به منذ اللحظة الأولى التي قرر فيها البوح بمشاعره لها.

وائل مقيد في وسط هذا الازدحام، وربما سيأخذ الأمر ساعة أو ما يزيد على ذلك للوصول إلى شقته، وهذا يسبب الإحباط له، إنه الآن يأمل وضع الخاتم في يدها في أسرع وقت، هذا ما أنتظره لوقت طويل "أن يكونا معاً كشخص واحد. أن يستطيع إظهار ذلك للعالم كله"

****

يصل بعد ساعة ونصف إلى شقته، وهو يدندن بأنغام سعيدة، ثم يتفاجئ بأن الباب فُتح وحده، وانتشار رائحة طبخ منزلي، فتصيبه رعشة في قدميه... هل هي روح وعد؟

ينقلب الخوف إلى بهجة حين يكتشف إنها ليست سوى زوجته المستقبلية منيرة

وائل (ابتسامة عريضة): مرحباً. (لا ترد) ما بال تعبيراتك؟ ألست هنا لرؤيتي؟ لماذا تغادرين؟ (يلمح وائل إن كتاب صور الزفاف الذي الموضوع على الطاولة قد فُتح) آه... دعينا نتحدث. هناك شيء علي أخبارك به. أستطيع شرح كل شيء.

منيرة: لمَ علي تحمل المزيد من أفعالك؟

وائل: لنتحدث في الداخل (يمسكها من كتفها، ويحملها نحو الداخل، ويغلق باب الشقة، ثم يضعها أرضاً) لأنك تحبيني؟ لأن بإمكاننا أن نكون زوجين متفاهمين؟

منيرة (أبعدت يديه): الحب لا يعني تحمل الخيانة والألم بغباء، وأنت حقاً شخص لا يمكن لأي أحد التفاهم معه.

وائل (صرخ): ألا يمكنك أن تكوني صديقتي وتسمعيني؟ أخبرتك إن لدي تفسير. لماذا تلومينني وتسيئين لي دائماً؟ أنتِ تتصرفين كحبيبة صعبة الإرضاء دائماً.

منيرة (تنظر في عينيه مباشرة بنظرات يتطاير منها الشرر): أجل لا يمكنني أن أكون صديقة وحبيبة كزوجتك. (تشير بعينيها إلى الكتاب)

وائل: ليست زوجتي.

منيرة: لننهي ما بيننا... نحن لا نلائم بعضنا.

وائل: ماذا؟ لماذا؟

منيرة: لأنك أنتَ... أنتَ، وأنا... أنا، ونحن لا نعني لبعضنا سوى ذكريات غالية لا تستطيع فعل أي شيء في الحاضر... ولا المستقبل. دعنا لا نحطم ما تبقى من تلك الذكريات.

وائل: من أجل حماية الذكريات علينا أن ننهي كل شيء؟ بالرغم من جمال الذكريات إلا إنها لا تستطيع فعل شيء لنا، علينا الآن أن نعيش واقعاً جميل يبني ذكريات أجمل.

منيرة (شاحبة): لنتحدث في وقت لاحق.

٨

<u>الرسائل القديمة</u>

يخرج وائل هاتفه المحمول من الدرج، يشغله، يضعه على السرير، يتأمل انعكاس صورته في المرآة قليلاً، يسمع نغمة تشغيل الهاتف، ثم إشعار نفاد الشحن، مما يضطره لجلب الشاحن، والاستلقاء على مقربة من طرف السرير.

تصل آلاف الإشعارات، وهذا متوقع لهاتف شخص اجتماعي ترك هاتفه المحمول لثلاث أشهر، ولكن ما تسبب له بارتباك في مشاعره، مائة وثلاث رسائل من منيرة بينها صور ورسائل صوتية ومقاطع مصورة.

ينجذب وائل لبعض الرسائل فيقرأها:

<u>-أنا آسفة حقاً لم أتمكن من التحدث إليك لأنى غيرت جوالى، ولم يسعفني الوقت فى تنصيب التطبيق، وهنا رقمي مختلف، ثم أخبرتنى صديقة لي أن بإمكاني الحصول على رسائلي القديمة بوضع بريدي الإلكترونى المرتبط مع الحساب، وها قد فعلت ورأيت رسائلك. حالياً</u>

أنا مشغولة، ولكني أردت أن أرد عليك لأعتذر، ولأوضح لك موقفي. أنا لم أتجاهلك.

يضحك وائل ويقول: أعلم... ليس هناك داعي لشرح التطبيق حتى أصدقك.

-هل أنت بخير؟ لماذا لم تقرأ رسائلي؟ هل يعقل إنك وجدت بالفعل امرأة أخرى غيري؟

وائل: أجل بخير. هل لديك حدس قوي؟ لا تمزحي... أحياناً أفكر إني رجل ميؤوس منه لأني لا أستطيع حتى التفكير في امرأة أخرى. هل أحتاج لعلاج؟

-بدأت أقلق عليك حقاً. أدعو أن تكون بخير، وإلا ستضيع فرصتي بالزواج بثري للأبد.

وائل (مشمئز): لن تضيع... أنا هنا. هل كل ما يهمك مالي فقط؟ (يفكر ثم يبتسم) على الأقل لدي شيء يجذبك... أنا حقاً ميؤوس مني! (محبط)

-أنا منزعجة لماذا تواصل إهمالي؟

وائل: أنا آسف. أعتذر حقاً. كنت جبان، وواصلت الهروب بينما كان علي شرح كل شيء لك في وقتها، ولم تكوني ستمانعين. صحيح؟

-هل أنت مشغول بالعمل؟

وائل (يومئ برأسه موافقاً): فوق ما تتصورين. لقد بدأت مشاريع جديدة غير شركتي، تمني لي التوفيق.

(رسالة صوتية) كيف حالك اليوم؟ تحلى بالصبر ولنثابر.

وائل (قلق): ما خطب صوتك؟ هل كنت تبكين؟ هل تمرين بوقت عصيب؟

-هل يعقل أن يكون هاتفك سُرق؟ لماذا لم تستعد رقمك؟

وائل: أكرر أسفي لأني لم أكن بجانبك لأستمع لك.

-أتمنى لو ترسل لي أي رد.

وائل: كنتُ قد نسيتك قليلاً... أعني حاولت أن أنساك لأني لم أمتلك الشجاعة لطلب الصفح منك.

-أنا مشغولة جداً سأتوقف عن مراسلتك

وائل: حظاً طيباً.

-أنا لم أعتذر منك بشكل لائق إلى الآن كما فعلت أنت.

وائل: لا تتحدثي بهذه الطريقة، تجعليني شخص أسوأ هكذا. قلبي يؤلمني.

(رسالة صوتية) أنا آسفة... لكني لست آسفة مع ذلك على الإطلاق لأني تأسفت مسبقاً.

وائل (يضحك): حسناً تفعلين. أجل كوني أنت دائماً، وافعلي ما يمليه عليك قلبك وعقلك.

-لنواصل السعي بجد.

وائل: مرحى!

-"لا تحاول النظر لمتاعبك فتعظم" –جونز.

وائل: هذا ما أفعله دائماً. حكمة عظيمة عليك بها.

-"أشد ساعات اليوم حلكة هي تلك التي تسبق طلوع الشمس" – باولو كويلو

وائل: أجل. لا بد إنك تعانين كثيراً، ولكن أن تعاني يعني إنك في الطريق الصحيح لحلمك. أليس كذلك؟ لذلك استمتعي بهذه المعاناة فغيرك يتمناها.

-لأكون صادقة فأنا أشتاق إليك.

وائل (سعيد): هذه هي الرسائل الجميلة! ولأكون صادق أنا أيضاً.

-لقد كنت حولي في الآونة الأخيرة كثيراً لذلك من الصعب علي قليلاً أن لا أفكر فيك.

وائل: هل تلومينى؟ هل تعاتبيني؟ هل توبخيني؟ وأنت كنت حولي طوال حياتي.

-لقد تغلبتُ عليك... من الرائع إنك لا تقرأ شيئاً وأنا أكتب لك... لا تقرأ الرسائل إلى الأبد أرجوك.

وائل (شرر متطاير من عينيه): هيهيهيهي... من الرائع أن تكتبي رسائل تظنين إني لن أقرأها، وأقرأها. أنا آسف عزيزتي ولكني أرغب في إكمال القراءة. ما العمل؟

-حين أفكر بك هنا تبدو لي أفضل مما أشعر إنك عليه... يبدو الأمر كما لو إنى لم أقدر شخصك، لكن هل أنا أحب الماضى لأنه رحل ولو عاد لكرهته كما تقول الحكمة؟

وائل: لن أكون متحيزاً لنفسي، وسأقول ربما لأني ماضي. إنما... ألا يمكنك أن تكوني ألطف قليلاً؟

-أنا سأوقف التفكير بك.

وائل: وأنا علي الذهاب للنوم... بسببك أنا متصل بهذا السلك، وأعاني الأمرين...(يضحك) أنا لا ألومك، أنا بهذا الوضع لأني أريد

قراءة رسائلك التي أدخلت السرور على قلبي. المعاناة في طريق الحلم متعة... لقد قلتُ ذلك قبل قليل.

يبقى وائل في مكانه، ويعيد قراءة كل الرسائل هذه المرة، وبعناية كبيرة، ويفتح الوسائط المرفقة أيضاً، ثم يغفو بوضع عجيب بسبب سلك الشاحن.

٩

ابحث عن الصدق في عيني

المشاكل جزء من حياتك، وإذا لم تشرك الآخرين فيها، فإنك لا تمنح من يحبك الفرصة لمزيد من المحبة.

ـ شارمان

يرسل وائل رسالة لـ منيرة باستخدام تطبيق آخر لكيلا يحرجها، ويطلب منها التهيؤ عند الساعة السابعة ليصطحبها إلى العشاء، فترد لتسأله عن المكان الذي يخطط اصطحابها إليه لتذهب بمفردها.

في المطعم ينتظر وائل قدوم منيرة، وفي تلك الدقائق تطفو كل آلامه للسطح، ويشعر إنه متعب للغاية دون سبب حقيقي يُذكر، يحاول تحسين مزاجه فهو على وشك قول كلام مهم ومصيري، بيد إن مزاجه يرفض أي محاولات لتحسينه، كما لو إنه يقول: لقد طاوعتك طيلة حياتك، ولكن الآن أنا متعب أريد أن أظهر وجهي الحقيقي.

يبتسم وائل بلؤم: حسناً. أنت أشعر بالانزعاج، وأنا سأشعر بالسعادة بوجودي في هذا المكان الجميل برفقة من أحب.

تصل منيرة إلى المطعم، يشير إليها وائل، فتأتي نحوه، تحييه، وتجلس قبالته.

وائل يبدو أهدئ بكثير مما هو عليه، وهو يراقب منيرة، ويحاول معرفة ما يدور في خلدها، لكنه يفشل في العثور على شيء سوى الهدوء المخيف، إنه يشعر وكأنهما غرباء تماماً.

وائل: لنطلب الطعام.

منيرة: لا أعرف الأطعمة هنا، اختر لي شيء صالح للأكل.

وائل: حسناً (ينادي النادل، ويطلب لهما) هل هناك ما ترغبين في قوله لحين وصول الطعام؟

منيرة: لدي سؤال... الطعام، والشراب، والنوم أشياء مهمة بالنسبة لك، لكننا أشخاص عمليون، وأول شيء نهمله حين نكون مشغولين بأشياء أهم من الطعام والشراب والنوم. أليس كذلك؟

وائل: علينا إيجاد وقت لهذه الأشياء حتى في أكثر الأوقات شغلاً، علينا التحلي بالصحة، فلا فائدة للحصول على نتائج عمل جيدة دون صحة.

منيرة: وأنت ماذا تفعل عادةً؟

وائل: للأسف أهملها غالباً.

منيرة: لذلك قلت لي أنا بالنسبة لك كالطعام والشراب والنوم.

كما لو إن لسان وائل وحنجرته اختفيا، وحبس الرد في صدره للأبد.

بعد بضع دقائق...

وائل: كيف كانت رحلتك؟

منيرة: شعرت إني حية مجدداً.

وائل: شكراً لك على إعداد وجبة طعام لي، لم أستمتع منذ مدة طويلة بوجبة مثلها.

منيرة: أنا نادمة لأني جعلتك تستمتع. (تظهر شبح ابتسامة على شفتيها)

يصل الطعام...

وائل: عسى أن تعجبك اختياراتي.

منيرة: ستعجبني. متأكدة، لأنك أحببت طبخي.

وائل: ذوقي رفيع (يبتسم)

بعد دقائق...

وائل: وعد عانت من مرض أنهى حياتها قبل خمس وأربعين يوم... (تغرورق عيناه بالدموع) كانت أمنيتها الأخيرة ألّا تموت من دون

زواج، عرضت عليها الزواج، ولكنها لم تشأ أن تدمر حياة اثنين سعيدين بسبب أمنية أنانية.

منيرة: لا بد إن لديها أصدقاء غيرك.

وائل: نعم لديها أصدقاء غيري، لكن علمت إنها كانت تحبني طوال كل تلك السنين التي قضيناها كأصدقاء، وشعرتُ إن مشاعرها نحوي متماثلة مع مشاعري نحوك.

منيرة: أنا أتفهمك.

وائل: كل ما قدمته لها هو هذه الصور، وبضع زيارات إلى المستشفى، ثم سافرت لتموت وحيدة براحة... لم أعلم بمرضها إلا مؤخراً رغم إنها صارعت المرض طويلاً.

منيرة: هل أنت بخير؟

وائل (يومئ موافقاً): إممم. لكني أشعر بالسوء من نفسي.

منيرة: أنت لم تخطئ، ولم تكن الصديق الوحيد في حياتها، كان لديها صديقات وأصدقاء كثر.

وائل: صحيح. آاه.

يرفع رأسه لبرهة نحو الأعلى لكي يبتلع دموعه، وينزله وهو مبتسم، يخرج من جيبه علبة، ويقدمها إلى منيرة قائلاً: أنا آسف لجعلك تستمعين لقصة حزينة. لم أدعوك من أجل ذلك...

منيرة (تقاطعه): من دواعي سروري أن تشاركني ما يعتمل في قلبك، ولو إن ارتياحك الشديد في الحديث معي فاجئني.

وائل: وكيف ذلك؟

منيرة: لا تأبه بكلامي أمزح.

وائل: حسناً. ألا فتحتِ العلبة؟

منيرة (متفاجئة): أوه.

وائل: بهذا الخاتم نويت أن أتقدم لخطبتك منذ اللحظة الأولى التي قررت أن أعترف لك بمشاعري، ولكن لم أستطع. حتى الآن لا بد إني مارست ضغطاً قوياً على عقلك لتقبلي بي، ولن أفعل هذا بعد الآن، احتفظي بهذا الخاتم، وفكري جيداً قبل رده لي، وخذي الوقت الذي تحتاجينه بالتفكير حتى وإن كان سنة، وحتى الوقت الذي تتخذين فيه قرارك، هل يمكن أن تكوني بجانبي كصديقتي؟ فأنا أحتاج لمساعدتك حقاً. أنا متعب.

منيرة: لا أعتقد إن بإمكاني أن أكون صديقتك، وهذا الخاتم معي، وأنا أرغب حقاً بأن أكون صديقتك، ومساعدتك لذلك سأرد لك الخاتم. ليس الأمر إني أرفض طلبك، أنا سأفكر في الأمر، أعدك... إنما الخاتم لا أستطيع إبقاءه معي.

وائل: افعلي ما يريحك. اليوم لا طاقة لي للمجادلة حتى. سأقبل بكل شيء.

منيرة: أوووووه... هذا من حسن حظي.

وائل: لا من حسن حظي فأنا حصلت على صديقة رائعة.

منيرة: أتطلع لصداقة مميزة.

١٠

بيانو

قام وائل بتدمير حسابه في تطبيق كاكاو، وأنشأه من جديد في وقت سابق، حتى لا تشعر منيرة بالإحراج من إمكانية كونه قرأ الرسائل.

بعد أسبوع يرسل وائل أول رسالة له كصديق لها:

-السلام عليكم صديقتى.

-ماذا تفعلين؟

يرده اتصال منها مباشرة، فيرد مسرعاً والسعادة ترقص مع كل خلايا جسده، ويقول: السلام عليكم صديقتي.

منيرة: وعليكم السلام... أردت أن أسأل صديقي إن كان بإمكانه إرشادي لمدرسة تعلم العزف على البيانو، أو عازفة بيانو تقبل أن تكون معلمة لي.

وائل: لماذا فجأة؟

منيرة: هذا حلم حياتي. كنت أراقب معلمة الباليه في المدرسة وهي تعزف، وكان هذا يجعل قلبي يخفق بشدة، لذلك حين جمعت بعض المال قررت تحقيقه.

وائل: هل تحبين الباليه؟

منيرة: كنت راقصة باليه في سنين المدرسة الأولى إلا إنني أقلعت عنها بسبب الدراسة.

وائل: حقاً؟! لم أعلم ذلك. بالنسبة للمعلمة أنا سأكون معلمك الخاص، فأنا أجيد العزف على البيانو والناي والعود.

منيرة (نبرة احترام وتقدير): آلات فريدة للغاية وصعبة على ما أعتقد. متى تعلمتها؟

وائل (يمشي خارجاً من مكتبه): تعلم البيانو في عائلتي فرض واجب عند دخول الروضة، وبقية الآلات بالعطل الصيفية في الطفولة.

منيرة (مرتبكة): هذا رائع متيقنة من إتقانك للعزف عليها بمهارة، لكن ألا يوجد معلمة بيانو لكيلا أتعبك؟

وائل (يركب المصعد): الأصدقاء لا يتعبون بعضهم، ولكن بما إنك تريدين ذلك سأعرفك بمعلمة ممتازة، وهي صديقة لي.

منيرة: هل كل من في العالم صديقاتك؟

وائل (يصل إلى المرآب): أجل كل العالم أصدقائي... قلبي يحمل الحب للبشرية جمعاء.

منيرة: نعم... نعم. مع السلامة أيها الملاك.

وائل: أحببت هذا اللقب... مع السلامة.

يفتح سيارته بجهاز التحكم عن بعد، فتصدر صوتاً، يمشي بثبات نحوها وكأنه يسير نحو حبيبته وليس سيارته.

يتصل وائل بصديقته معلمة البيانو، ويطلب أذنها ليزورها.

١١

يوم الإجازة

-(رسالة صوتية) ماذا ستفعل فى نـهاية الأسبوع صديقى؟.

-(رسالة صوتية) ما نفعله كل ليلة يا بينكي... نحاول السيطرة على العالم.

-(رسالة صوتية) هل تمزح معي؟ (تخفى ضحكتها)

-يمكنك الضحك بالمناسبة. لدي بعض الخطط، وأنت؟

-بالطبع. ومن منع الضحك علي؟ لدي درس بيانو مع صديقتك المعلمة الرائعة.

-هل لديك وقت فارغ عصر يوم الجمعة أو السبت؟

-السبت سيأتي ضيوف مهمين للدار لا يمكنني تفويت ذلك، لكن الجمعة لا شيء لدي.

-ستأتين معي لمدينة الملاهي.

****

يتصل وائل بـ منيرة، ويعرف منها موعد انتهاء درس البيانو، وحتى ذلك الوقت يذهب حاملاً بعض الطعام والمشروبات والمثلجات لأصدقائه في القسم الداخلي الجامعي، ويسألهم إن كانوا بحاجة لشيء، ويمنح الجدد منهم رقمه ليتصلوا به متى ما شاءوا إن احتاجوا لشيء.

يسأله أحد الشباب قائلاً: لماذا العيش صعب جداً؟ أشعر وكأني حمل ثقيل على عائلتي... صديقي تخرج من الثانوية، وارتاد دورة لشيء مختص بالحاسوب، وتوظف، ثم فتح مقهى إنترنت، والآن هو ينتظر طفله الأول، وأنا لا يمكنني الحصول على عمل جزئي أو أن أقع في الحب خوفاً من يؤثر ذلك على دراستي.

وائل: العيش صعب دائماً، ولكن أنظر لما لديك... أنت شاب يدرس في الجامعة وأعزب، على الأغلب صديقك يحسدك كثيراً لأنك لا تحمل مسؤولية ثقيلة كالتي يحملها، ثم يا صديق! هل تعتقد إن كل من ترك الجامعة يستطيع النجاح مثله؟ كان شخص محظوظ فقط، ثم لماذا لا تستطيع العمل؟ العمل الجزئي يحفزك على مزيد من الدراسة الجادة

وتنظيم الوقت بشكل ممتاز... ثم يا صاح مع إني لا أفضل أن تحب في وقت الدراسة لكن يمكنك أن تحب... من قال إن الحب سيعيقك؟ لكن عليك أن تحب الفتاة الصحيحة ليس صديقتها أو أختها (يربت على كتفه) سيدفعك ذلك للنجاح، خاصة إن لم تبح لها بمشاعرك، وانتبه أن تنجذب لحسن المظهر فقط.

الصديق: يبدو إنك تتكلم عن تجربة؟

وائل (يبتسم): أجل لقد عملت أثناء دراستي.

الصديق (بخبث): لا أعني ذلك.

وائل (يضحك): ربما؟...

إنه يشعر بالراحة، وهو يقوم بمساعدة الآخرين، وكأن الخالق لم يضع في قلبه مكاناً للشر أبداً، هذا ما يجعل وائل شخصاً فريداً من نوعه.

****

هناك تعريف عام ومحدد ليوم الإجازة في العالم أجمع وهو اليوم الذي لا تضطر فيه إلى الذهاب للمكان الذي تذهب إليه يومياً.

لمدمني العمل هذه حقيقة مؤسفة وحزينة جداً، ولمعظم البشر الآخرين هو يوم سعيد جداً مهما كان مملاً، يجري بسرعة، ويضعون

له مخططات فوق استيعابه الفعلي التي ينتهي بها الأمر غير منفذة ومؤجلة ليوم إجازة آخر.

يجلس وائل في سيارته منتظراً منيرة، بعد ثلاث دقائق تطل من بعيد بابتسامتها الهادئة المعهودة، فيفكر بحقيقة إنها مختلفة عنه وعن كل الفتيات اللواتي عرفهن قبلاً، وكيف تغيرت تماماً عن فترة مراهقتها من شخص لا ينفك ممتلئاً بالطاقة لتصبح سيدة جميلة راقية وهادئة، وكيف تغير هو الشخص الهادئ إلى شخص مليء بالحيوية والنشاط كما لو إن أحد بدل شخصيتيهما بنقطة ما.

منيرة: آسفة تأخرت عليك؟

وائل: لا... أبداً.

منيرة: لقد اتصلت بصديقتي دلال لتلحقنا إلى مدينة الملاهي إنها تحبها، سنتسلى... وأنت أيضاً اتصل بأصدقائك.

وائل: فكرة حسنة... سأتصل بـ رانيا وهيام.

منيرة (تخرج لسانها): توقعت إنهن سيكن فتيات. أليس لديك أصدقاء شباب؟

وائل (يصبح لون وجهه أحمر بالكامل): لدي الكثير من الأصدقاء الشباب... لكنهم مشغولون.

منيرة (تضحك): لنذهب لمدينة الملاهي لو سمحت.

بالرغم من كونه محرج إلا إن وائل يزداد سكينة وراحة وبهجة، كما لو إن هذه اللحظات سُرقت من جُعبة البهجة دون أن تعلم بالأمر، يرغب أن تتجمد هذه اللحظات، وهذه المشاعر، ويعيش فيها للأبد بدون هم وأحزان وأي أفكار قد تعكر صفو لحظة بسيطة جداً ومشرقة جداً لحد يؤلم العين فتتجمع الدموع فيها، ثم تسيل برفق على الخد بجانب ابتسامة عريضة، ثم تنتهي رحلتها بواسطة يد تمسحها بحنان.

في مدينة الملاهي...

منيرة (تتجمد في مكانها): الازدحام!!!

وائل (يشير لها أن تتبعه): تعالي هيا... حشر مع الناس عيد.

منيرة (تتصنع ضحكة): إنه يوم الحشر بذاته.

وائل (يتكلم بسرعة من فرط الحماس): هل تركبين المطرقة؟ إنها المفضلة لدي.

منيرة (يشحب لون وجهها): لا بأس لنركبها.

ينزلان من اللعبة، فتمسك بيده، فيتعجب الأمر قليلاً، يلتفت، فيرى خطاها تتخبط، يثير هذا داخله شيء من الحيرة، فيسألها: هل أنت بخير؟

منيرة (تترك يده وينتصب ظهرها وتفتعل ابتسامة عريضة): بخير تماماً. لقد استمتعت جداً.

يسر وائل لكونها استمتعت أيما سرور، ويقول متحمساً: يسعدني إنك تحبين الألعاب التي أحبها. لنذهب إلى الأفعوانة الآن هيا.

منيرة: (تشير لها): أتقصد تلك؟

سكة الأفعوانة طويلة للغاية، وملتفة كثيراً، وصراخ الراكبين فيها يمزق الأذن.

وائل (مستبشر): نعم إنها جميلة جداً. أخطر أفعوانة في بلدنا كلها... السياح يأتون خصيصاً من أجلها.

منيرة: أوه!... أووو... لنذهب (تتمتم) نحن نعيش مرة واحدة.

وائل (يعتقد إنها سعيدة حقاً): نعم؟

منيرة (شاحبة جداً، وتتظاهر بالقوة والمرح): لنذهب.

وائل يبدو كطفل يتحرك في الأرجاء مرحاً سعيداً، يقفز هنا وهناك، ولا يأبه لشيء.

ينزلان من الأفعوانة، فتسقط منيرة مغشي عليها، ويصاب وائل بذعر شديد، ولا يتحرك لبرهة من الزمن، ثم يسمع أصوات الناس وكأنها بعيدة جداً وهي تسأله "لماذا فقدت الوعي؟"، فيستيقظ من حالة الصدمة التي هو فيها، يقوم بضربها على وجهها، وسكب الماء الذي ناولته إياه شابة قبل قليل على وجهها، فلا تستيقظ، فيصرخ قائلاً: أرجوك لا تموتي.

تخرج فتاة من بين الحشد، وتصرخ: ماذا حصل لها؟ ثم تأخذها من يد وائل، وتعانقها، وتردف قائلة: هيا رد. أنا صديقتها دلال.

وائل (خائف جداً، ومع هذا متيقظ الذهن جداً): لا أعلم، حين نزلت من الأفعوانة، سقطت مغشياً عليها.

دلال (صُعقت): ماذا؟ أتصل بسرعة بالإسعاف، لديها رُهاب شديد من المرتفعات والأرضيات المتحركة.

يتصل وائل بالإسعاف، ويركض ليطلب من سيارة الحراسة نقلها إلى نقطة الرعاية الأولية لحين وصول الإسعاف.

ينادي على الحشد إن كان هناك طبيب يستطيع المساعدة، فتظهر سيدة أربعينية تعرف عن نفسها كطبيبة باطنية، وتقدم بعض الإرشادات، وتؤكد على ضرورة اصطحابها للمستشفى، وتصحبهم في سيارة الحراسة لنقطة الرعاية.

١٢

الرحيل

قالت الشمعة الرومانية: كيف؟ أنت حتى لا تعرفه.
ــلم أقل إننى أعرفه.. بل أجرؤ على القول إنى لو عرفته لما صادقته قط.. من الخطر جداً أن تعرف صديقك.

ـأوسكار وايلد

يُقال إننا لا ندرك قيمة من نحب إلا حين يمرضون أو حين يرحلون للأبد...

إلا إن هذه المقولة ليست مقولة صائبة على الأغلب، أنت تدرك قيمة هذا الشخص دائماً، وتعرفه حق المعرفة، ولكنك كنت تتصرف حسب طبيعتك البشرية التي تصيب وتخطئ، وتتعرض لظروف الحياة، وتبعاً لمجموعة ظروف في لحظات معينة أنت تتصرف هكذا، وعلى الأرجح الشخص الذي تلوم نفسك على عدم العناية به جيداً يتحمل الجزء الأكبر من مسؤولية تصرفاتك غير طيبة...

ولكن حين يصاب بسوء يفقد قدرته على الإيذاء، ويعدم حيلته، وتكون أنت القوي في هذه العلاقة، فيستيقظ الملاك النائم في داخلك، ومع هذا إن استمر ذلك الشخص لفترة طويلة في محنته أو مرضه،

ستعود لطبيعتك البشرية، وستمل من أفعالك الجيدة التي تفعلها بشكل تكراري يومي تقريباً، وسيصبح وجودك إلى جانبه مزعجاً، أما إذا كان قد رحل عن العالم، فسيجعل مهمتك أسهل في التخلص من باقي ذكراه بدون الشعور بأدنى ذنب لأن كل نهاية في الحياة بداية جديدة، وأنت لست مخطئ في ذلك.

في المستشفى...

يشعر وائل بأنه المذنب الوحيد في حالتها ويؤنب نفسه كثيراً، إنه يخشى موت صديق آخر، وبسببه ويبدأ بمناجاة الله من أجل شفاء عاجل لها.

يسأل وائل الطبيب الذي يفحصها بتهذيب إن كان وضعها خطر، فيجيب الطبيب مبتسماً: لو تأخرت قليلاً بعد سيكون الأمر خطيراً... الآن هي بخير. لقد فعلنا اللازم، وستنام حتى الصباح هنا، وتستيقظ بكامل قواها معافاة إن شاء الله.

يشكره وائل كثيراً، ثم يعود للجلوس بجانبها.

تأتي والدتها وتوأمها بهيرة، ويرياه جالساً بجانبها ممسكاً يدها بكلتا يديه، واضعاً رأسه على يدها، ويتحدث معها همساً.

يشعر وائل فجأة بوجود شخص ما إلى جانبه يضربه بحقيبته بقوة، يرفع رأسه، وإذا بها امرأة مسنة تشبه منيرة، فيقول: والدة منيرة؟

الوالدة: من أنت؟

بهيرة: أمي إنه شخص تعرفه منيرة... وهو الذي أنقذها، هكذا قالت دلال. (تغمز له بعينها)

وائل (ينتبه لإشارة بهيرة): أجل أعرف المصممة منيرة... بسبب... لقد قامت بتصميم ثوب لابنة أخي.

والدة: وكيف صادف وأنقذتها؟

يفكر أن يكذب، ثم يتراجع فالصدق لديه شعار وطريق في حياته، ولن يتنازل عنه، فيرد قائلاً: لأني كنت قد ذهبت معها لمدينة الملاهي.

والدة (مصعوقة): نعم؟!

وائل: ومعنا دلال.

الوالدة (يتطاير الشرر من عينيها): شكراً لك. يمكنك الذهاب الآن لقد وصلنا.

وائل: العفو هذا الواجب... سأغادر.

يميل جسده باتجاه منيرة، ويهمس في أذنها: سأتزوجك إن لم تستيقظي، وسأخبرها إنك تخرجين معي! (يبتسم بدهاء)

يرفع جذعه ويقيمه، ويدور وجهه للجهة الأخرى، ويهرب بخطى ثابتة ورأسه مرفوع بزهاء، وكأنه يسير على السحاب، ويسمع صوت والدته، وهي تقول "من هذا الذي يمسك يد ابنتي ويهمس في أذنها؟ ماذا قال لها؟" يبتسم ابتسامة تصل حتى أذنيه، ثم يخفيها، ويتابع السير مبتعداً، ويستمر صوت والدتها بالانخفاض.

١٣

مفعم بالحياة

ما هذا اليوم يا ترى؟ إنه اليوم العاشر منذ حادثة مدينة الملاهي، ولم يرد وائل أي اتصال أو رسالة من منيرة عدا رسالة في اليوم التالي شكرته فيها على إنقاذها، وتأسفت لأنها سببت له الذعر في يوم الإجازة.

حظي وائل ببعض الأعمال المهمة، وكان عليه السفر جنوباً، ثم إلى الشرق لحضور حفل مهم في العاصمة، ولم يستطع خلال هذه الفترة أن يكثر الاتصال بها، ولم يرده أي اتصال منها خلال هذه الفترة.

ولأن وائل لا يرضى بالاستسلام السريع، فهو الذي يتصف بالإقدام والمثابرة لذلك قرر أن يزورها اليوم، و هذا يعني إن اليوم هو اليوم الموعود لمعرفة سبب تجاهل صديقته له.

يتهيأ أمام المرآة، يصفف شعره، يرش العطر، يضع المرطبات على بشرته، ويرتدي سترته، وساعته، ويحمل مفتاح سيارته، ثم يغادر المنزل.

يتصل بموظف في العمل ليخبره أنه سيذهب للعمل الخارجي.

في دار الأزياء...

إنه في دار الأزياء يتجول مستخدماً صفة ثراءه لكي يحصل على معاملة ممتازة، يطلب لقاء المصممة منيرة، تمر ثلاث دقائق، ويدخل إلى الغرفة التي تنتظره فيها منيرة.

يدخل ويغلق الباب، ويلقي التحية بأدب ورسمية وكأنه لا يعرفها، ترد عليه كما ترد على الأشخاص المهمين جداً للدار، يرى وائل الكثير من التساؤلات في عينيها، ولكنه لا يتفوه بأي كلمة أو يتصرف أي تصرف بإمكانه أن يطمئنها، لأنه قرر سابقاً أن يأتي هنا للعمل، ويريها جانبه الرجولي والعملي الذي لم تره من قبل.

وائل: أريد أن تصممي سترة بدون أكمام صيفية، وأخرى شتوية لتكون زياً رسمياً لشركتي.

منيرة: الشتوية... في الشتاء سنصممها، أما الصيفية فأخبرني عن السبب الذي تحتاج له الزي الرسمي، ولماذا تريد سترة فقط؟

وائل: لأني سمعت بعض الموظفين متعبين من اختيار الملابس كل يوم، مع هذا لا أريده زياً كامل حتى أتيح للذين يحبون انتقاء ملابسهم كل يوم الفرصة لفعل ذلك. حسناً... صممي وأريني... أريده تصميم جيد (يسحب أرنبة أنفها)

منيرة (تفتح عيناها بشكل واسع): يا سيد!

وائل (يستلقي على الأريكة): سأنام لعشر دقائق، وحين أستيقظ أريد رؤيته جاهزاً.

منيرة: ألن تكف عن لعب دور الثري المتعجرف؟

وائل (يخفي ابتسامته، إنه سعيد لأنها كسرت حدود الرسمية): أنا لا ألعب الدور. أنا بالفعل ثري.

منيرة (غاضبة): لكنك لست متعجرف.

وائل (يكتسي محياه بتعبيرات مبتهجة): كان علي تسجيل اعترافك! لقد أضعت فرصة عظيمة.

منيرة (نادمة): ألن تصمت؟ أريد أن أركز في عملي.

وائل: لمَ لم تردي على اتصالاتي؟

منيرة: هل اتصلت؟ لم يكن لي الوقت الكافي لأي شيء حتى العودة للمنزل.

وائل: أنا لدي ثلاث أعمال أديرها، وكنت بالأمس في زفاف أخ الموظفة نداء في غرفة الانتظار، وذهبت لحفل عيد مولد الابن البكر للمصمم هاني. واليوم ذهبت أيضاً للعلب الإسكواش مع مديركم، وغداً لي اجتماع على الغداء مع مالكة سلسلة دور الأزياء التي تعملين بها.

لاهتمامي البالغ أعامل باحترام وليس لكوني ثري. الانشغال لا يعني ألا نـهتم.

منيرة (مستاءة): أنت صنف نادر من البشر... لديك طاقات خارقة. أنت مفعم بالحياة!

وائل (يندم على كلامه): عليك على الأقل الرد على اتصالاتي ورسائلي لأعرف إنك بخير، أنا أيضاً مشغول، ولا أحب المراسلة الطويلة، فقط سؤال وجوابه.

منيرة (مشغولة بالرسم): أوه آسفة...

وائل: بالمناسبة لماذا لم تخبرني إنك لا تحبين مدينة الملاهي والازدحام؟ وإنك تعانين من رُهاب؟

منيرة (مركزة في عملها): إممم لا أعلم لمَ لم أخبرك بشأن حقيقة ذلك... ربما كنتَ متحمس جداً، ولم أشأ أن تشعر بالإحباط. كنت كطفل صغير مشتاق للعب والمرح.

وائل (جاد): شكراً لك... لكن لا تفعلي هذا مجدداً. في المرة القادمة ربما ستنتهي حياتك.

منيرة: آه! بالمناسبة أمي أخبرتني إنك همست في أذني، فماذا قلت؟

وائل: سر!

منيرة (منزعجة): لماذا؟ هل تعلم كم وبختني والدتي بسبب سرك؟

وائل: في هذا السن؟ وُبخت من والدتك؟

منيرة: ماذا تظن إذن؟ هل تعتقد إننا عائلة لا قيم لديها؟ لقد كنت تمسك بيدي، وتهمس في أذني، مع إني لست راضية على أفعالك لكني أتفهمك... كونك صديقي وكل صديقاتك فتيات، ولا تهتم كثيراً بأي قيم، لكن أمي لن تفهم. إذن قل لي الآن بماذا همست؟

وائل: لن أخبرك... إنه سري الغالي.

١٤

<u>يوم عادي</u>

إنه يوم عادي للغاية، وهذا شيء مميز ورائع وجذاب لـ وائل، فهو لم يحظى بيوم عادي منذ زمن، أيامه كلها بطريقة ما عجيبة للغاية ومشرقة للغاية ومتعبة للغاية، وهناك إطار محدد يدخل فيه كل يوم ولا يخرج منه، وكلما ازدادت مسؤولياته كلما أصبحت كل لحظة في حياته عبارة عن جنون فاغر فاه ليبتلعه بقوة.

وائل ليس رجل كثير الشكوى، إنه شخص شاكر لما حصل عليه، ويعمل بجد من أجل خير الجميع، ويعلم إن طبيعة أخرى من الحياة ربما لم تكن لتناسبه، مع هذا في الأيام العادية الهادئة الثمينة والنادرة لا يستطيع منع نفسه من الشعور بسلام لا مثيل له، كما لو إنه يعيش في معزوفة سعيدة.

يذهب وائل لزيارة صديقه طبيب الأسنان نور في عيادته، يجلس في غرفة الانتظار، ينتظر أن ينتهي نور من عمله، ليدخل ويحيه، ويخرجان معاً لأي مكان للتحدث.

يخرج هاتفه المحمول من جيبه، ويبدأ بقراءة كتاب، ينتبه إن المرأة التي تجلس أمامه هي الشخص الوحيد الذي يقرأ في هذه الجلسة عداه، وتقرأ مجلة أزياء، والآخرون إما يتراسلون بهواتفهم، أو يتحدثون فيما بينهم، أو يقلبون صفحات الكتب بلا عناية، وربما هناك شخص آخر يقرأ كتاب في جواله، هو ليس واثق تمام الثقة من الأمر.

ينهمك في القراءة، ولا يلحظ أن الآخرون غادروا كلهم واحد تلو الآخر.

تقترب منه امرأة، وتقول له: هل تتبعني؟

وائل: ما هذه الصدفة الجميلة؟ منيرة؟

منيرة: أجل... لماذا أنتَ هنا؟

وائل: لرؤية صديقي الطبيب.

منيرة: كل الفتيات صديقاتك. لم تجعل ظني يخيب بك أبداً.

وائل: ماذا؟ (يضحك حتى تذرف الدموع من عينيه) من هو الفتاة؟

منيرة: الطبيبة نور.

وائل: إنه رجل. لقد كان في مدرستنا أيضاً في الدفعة التي تسبقني.

منيرة (تضحك، وقد توردت وجنتيها حياءً): حقاً؟ إنها زيارتي الأولى له. من الجيد إني رأيتك، لقد أنقذتني من موقف محرج.

وائل: كنت ستدخلين، وستسألين عن الطبيبة؟

منيرة: تخيل! علي الذهاب إنه دوري. أنا المراجعة الأخيرة. تمنى لي حظ طيباً (يقرأ وائل تعبيرات كره لزيارة طبيب الأسنان على محياها التي يراها على وجوه معظم الناس)

وائل: لماذا حقاً تكرهون طبيب الأسنان؟

منيرة: هل تحبه؟ سأشرح لك لاحقاً. (تذهب)

وائل: انتظري... عقدة الفراشة في ظهر سترتك مفتوحة.

تحاول ربطها، فيأتي هو لمساعدتها، فلا تشعر بالنفور أو تبتعد.

وائل: لماذا أنت نحيلة جداً كهيكل عظمي؟ من سيتزوجك وأنت بهذه البشاعة؟

منيرة: لا تقلق هناك العديد من الناس الذين يمتلكون نظراً جيداً، أو على الأقل أفضل منك، وليسوا سطحيين ليتزوجوا فقط بالاعتماد على المظهر.

وائل: عزيزتي لا تقلقي جداً هكذا... هناك مثل معروف "حظ القبائح في السماء لائح".

منيرة: لذلك حظك عالٍ جداً (تضحك بخبث، وتهرب بسرعة الضوء من أمام ناظريه)

وائل: تم التحطيم!

ينتظر وائل مرور نصف ساعة، ثم تخرج منيرة، يودعها، ويدخل لرؤية صديقه، فيسأله عن صحة صديقته منيرة، وهل شعر بالانزعاج منها؟

ينادي الطبيب على منيرة التي ما زالت لم تختفي من أمام ناظريه بصوت عالي، ثم يخرج من مكتبه ليلحق بها.

يتساءل وائل ما خطب ذلك الأبله؟ ويراقبه بعناية.

الطبيب: لماذا لم تخبريني إنك صديقة وائل؟

منيرة (تضحك من شدة غرابة الوضع): لم يكن... ما المهم في ذلك؟ أشعر بالحيرة.

ينتبه وائل إنها تتصرف بأنوثة عالية، لم يرها هكذا أبداً من قبل، فيشعر بالتقزز الشديد، هل يعقل إنها أعجبت به من النظرة الأولى؟

الطبيب: لقد دعوت وائل لتناول العشاء. هل تأتين معنا؟

وائل: لم تدعني! من يتناول العشاء عند السادسة والشمس ما زالت في كبد السماء؟

تشير منيرة بعينيها، وتعبيرات وجهها تسأل وائل ما خطب هذا الشخص؟

يرفع وائل كتفيه، ويهز رأسه يميناً ويساراً ليشير إنه لا يعرف.

****

في المطعم...

يعتقد وائل إن يومه العادي الغالي لن يكتمل بطريقة عادية، ولكن ماذا يفعل حيال ذلك؟ إنها حياته، ويجب أن يعيشها كما هي، فقد وهبته أيضاً الكثير من الأشياء الجيدة.

منيرة: شكراً على دعوتك... أحببت الجو هنا. كل شيء جميل.

وائل (مستاء): وهل تحبين شيء أنتِ؟

منيرة (تفتح عينيها باتساع، وتنظر له بغرابة): نعم؟

الطبيب: وجودك هو الذي أضفى الجمال هنا.

يكلم وائل مع نفسه قائلاً: كلام مبهر. أعترف.

منيرة: شكراً لك.

وائل (يقول في نفسه: لنغير الحديث قد أتقيئ إن استمر هذا الجو أكثر): هل سمعت عن الرجل الستيني الذي تخلى عن ثروته كلها، وذهب لتسلق الجبال؟ يدعي إنه حلمه. كم هذا طفولي!

الطبيب (يغضب جداً): ربما لم يستطع فعله في شبابه بسبب أفكار من حوله المشابهة لأفكارك، لذا هو يفعله الآن. هل رأيت شخص يشتاق لبيت غير بيته؟ كذلك هي الأحلام هي لأصحابها مهمة، ولكنها سخيفة لك.

منيرة (تنظر إلى وائل لبرهة): أنت تعرف وائل أيها الطبيب... إنه الآن لا يقول ما يفكر به فعلاً... كما إنه أكثر شخص يقدر أحلام الآخرين، هو أيضاً شخص طموح وحالم. أنت تعلم.

وائل (يبتسم، وكأنه يوشك على البكاء تأثراً): شكراً.

يرى وائل في عيني منيرة ابتسامة ممتلئة بالحب والدفء كما لو إنها عائلته الحقيقية.

منيرة: العفو (يردها اتصال، فتقوم من الطاولة)

الطبيب: لديك صديقة جيدة... أغبطك.

وائل: وحتى أنا أغبط نفسي عليها أحياناً.

الطبيب: هل تحبها؟

تعود منيرة...

وائل: أنظر لها... كيف تفكر بهذا حتى؟

الطبيب (يتلألأ وجهه): معرفة هذا تكفيني.

منيرة: أعتذر. علي الذهاب... استمتعوا بقضاء الوقت معاً.

يمسكها الطبيب من ساعدها، ويقول: لا تذهبي فللحديث بقية.

يستاء وائل جداً، وخاصة إن منيرة تبدو مرتبكة للغاية، فيقول بطريقة حادة: نور!!!!!!. ماذا تفعل؟ انتبه.

الطبيب (ينظر لمنيرة بترجي): آسف حقاً... (يوجه نظره باتجاه وائل) شكراً لأنك عرفتني بها. هل تتزوجينني؟ (يقف، وينظر في عينيها) أنا آسف لأن الوضع هكذا، لكنني عرفت إنك ستكونين زوجتي منذ النظرة الأولى.

١٥

لُبك يتآكل

يشعر وائل بألم في صدره، لا يعرف هل هو ألم حاد في القلب بسبب مرض ما؟ هل هو تشنج؟ هل هو إحساس؟ أي كان سببه إنه يؤلم حقاً.

لا يكف عن تدليك صدره، ففي اللحظة التي يترك فيها صدره الألم يتضاعف، يوشك على البكاء بسبب هذا الألم، ويشعر بعطش وجوع دائم أيضاً رغم إنه يأكل، ويشرب الكثير.

تنصحه لانا بزيارة طبيب، ولكنه لا يذهب، ثم يتصل بـ منيرة.

منيرة تطلب منه أن يأتي ليوصلها للمنزل، فيتجاهل ألمه، ويذهب إلى دار الأزياء.

هناك وحين ينتظرها يغط في نوم عميق، ويرى في منامه صديق له يناوله سيف، ويطلب منه أن يقتل أحدهم، ينتابه الفزع، ويحاول الهروب، ولكن صديقه يتحول لشخص مرعب جداً بعيون تشتعل ناراً، ويجبره على قتل أحدهم.

يوقظه صوت قرع على النافذة... إنها منيرة

تضحك منيرة قائلة: لماذا تنام دائماً حين تأتي لاصطحابي؟ قل لي إن كنت متعب.

وائل (ليس في حال جيدة): لا لستُ كذلك. اركبي.

منيرة (تركب): هل كان كابوس سيء للغاية؟ أنت تتعرق بينما التبريد يعمل!

وائل: أجل. الإحساس الذي منحني إياه رهيب.

منيرة: لنذهب للمتجر حيث كان حديثنا الأول. سأدعوك لتناول البوظة.

وائل: لنذهب.

في المتجر...

وائل (انفرجت أساريره): أحب هذا المكان إنه مريح بطريقة تبعث على الدهشة.

منيرة: أنا أيضاً أشعر بنفس الشعور، رغم إنه عادي جداً.

وائل: بعدما خرجتُ من المطعم. ماذا حصل؟

منيرة (تنظر للشارع): ماذا قد يحصل؟ خرجتُ بعدك.

وائل (يغطي وجهه بيديه): لذلك لا فائدة ترجى منك. يا عزيزتي نور فتى جيد. لا تهجريه هكذا... أعطه أمل بسيط لأنك قد تغيرين رأيك، وتعودين له.

منيرة: لكن هناك شخص آخر طلب أن أفكر بالزواج منه؟

وائل (يتناول البوظة): بالرغم من إن الشخص الآخر هو شخص جيد جداً، وأنصحك أن توافقي عليه، لكن هناك احتمال (يشدد) "شبه معدوم" ألا توافقي، وأنت كبيرة وبشعة ولا يوجد من سيتزوجك، لذلك عليك التمسك بـ نور.

منيرة (تسند رأسها على يدها، وتلتفت باتجاه وائل مسرورة): فيما عدا نعوتك المبهرة... تتحدث بحنان كما لو كنت أم... لهذا لديك الكثير من الصديقات. كوني صديقتك أمر رائع.

وائل (يحدق في الشارع بدون مبالاة): بدأت تدركين قيمتي مؤخراً؟

منيرة: بل أنت من بدأ يريني حقيقته مؤخراً.

وائل: بلسانك هذا لن تتزوجي.

منيرة: لا تقلق عزيزي... لا أحتاج لساني لكي أتزوج، فجمالي كافي للإيقاع بالشباب من النظرة الأولى (تُخرج بسرعة طرف لسانها قليلاً ساخرةً)، ثم من قال لك إني أرغب في الزواج؟

وائل (غير مكترث يعدل شعره، ثم يمسح فمه): لا تتزوجي إذن.

في السيارة...

يلتفت وائل باتجاه منيرة، فيراها قد وضعت رأسها على النافذة. يسمع صوت نبضات قلبه القوية في عقله، ويعود الألم مجدداً.

تسأله منيرة قائلة: ما خطبك يا رجل؟ تبدو كحديد يتآكل.

وائل: لا أعلم.

منيرة: هل تشتاق لـ وعد؟ أنا لم أسمعك تتكلم عنها.

وائل (يزداد ألم صدره): علينا مواصلة الحياة بدل التحدث عن الماضي.

منيرة (تلتفت نحو الشارع): لا بأس في أن تشتاق لها، كانت صديقتك التي تحبها وتحبك، كانت شخص تراه كل يوم تقريباً، وساندك كثيراً. أليس كذلك؟

دموع حارة وغزيرة تنساب بهدوء على وجه وائل، يحاول رفع يده لتجفيفها، تمد منيرة يدها من دون أن تلتفت لـ وائل، وتمسك ساعده، وتقول "استمر بالبكاء... لن أنظر لك"، ثم تتركه لتستمر في التحديق في السيارات.

****

التعساء والحزينون والمتعبون يعرفون بعضهم البعض جيداً، وينجذبون لبعض، ويُجذَبون لبعض بقوى خفية، ويتحاورون بطرق خاصة، وكذلك السعداء يعرفون بعضهم حتى ولو لم يتبادلوا حرفاً واحد.

بعض التعساء قد يختارون البؤس والشقاء ويألفونه ويعتادون عليه حتى إنهم يرفضون أن يتعرفوا على شخص سعيد خوفاً من العدوى، أما البعض الآخر فقد يفنون عمرهم في البحث عن شخص سعيد والتعرف عليه، لأنهم يؤمنون بالمثل المعروف "من جاور السعيد سُعد"، أما بالنسبة للسعداء فلا أحد منهم يرغب في معرفة شخص تعيس وبائس وحزين، إنهم ينفرون منهم بلا تفكير خوفاً من يصابوا بهذا الداء، السعيد لا يفكر، إنه يفعل ذلك تلقائياً، التفكير وجد للتعساء والبائسون.

يوصل وائل منيرة إلى المنزل، تودعه، وتنزل من السيارة.

يمسح وائل وجهه، ويرتب ملابسه، وشعره، ويشرب بعض ماء من القنينة الموضوعة إلى جانبه، ثم يرفع رأسه ليرى منيرة تترنح في مشيتها، هناك خطب ما بها، إنها تمسك رأسها...

يبدو الأمر كمشهد يصور ببطء جداً حركته بطيئة، صوته لا يخرج من حنجرته، ثم تنبعث طاقة قوية بداخله، يفتح باب السيارة، ويرفع حزام الأمان، ويترجل، يلحق بها، يقول بصوت مرتفع: هل أنتِ بخير؟

منيرة (ألطف من المعتاد): أجل. لم أنم منذ أربعين ساعة فقط.

يقترب وائل منها، ويحيط ذراعه اليمنى بكتفها ليسندها في مشيتها، ويقول مؤنباً: أنت تخبريني ألّا أرهق نفسي، وتسهرين ليومين من أجل العمل.

منيرة: النوم يجافيني حين أكون متعبة.

وائل: لا تُتعبي نفسك إذن.

منيرة (يميل رأسها نحوه بدون قصد، وتستند عليه كلياً): وكيف أعيش؟ أنا أهرب من نفسي بالعمل.

وائل: لا تفعلي ذلك. لماذا تهربين من نفسك، ونفسك جميلة؟ ليس كل ما يحصل ذنبك.

منيرة: لا تعلم شيئاً. أنت ما زلت طفل صغير.

وائل: أنت لا تعرفين كل شيء أيضاً.

منيرة: اتركني قبل أن تراك والدتي. لقد وصلنا.

بهيرة: لقد رأيتكما. (واقفة إلى جانب وائل)

منيرة: لقد أفزعتني. أنا لم أستطع السير، فساعدني. إنه صديقي.

بهيرة (ممازحة): قصة جميلة.

منيرة: هذه الحقيقة.

وائل (يترك منيرة، ويلتفت نحوها): السلام عليكم.

بهيرة ترتدي اليوم قميص بلون الكرز الغامق، بياقة مفتوحة، مع سترة بيضاء خفيفة، وتنورة طويلة فضفاضة من الشيفون المنقوش، وقد رفعت شعرها على هيئة ذيل حصان. مظهرها هذا يجعل وائل يشعر بعدم الراحة لسبب مجهول، ثم تقع عينه على الجرح الموجود على ترقوتها، تتنبه بهيرة لذلك، فتحاول تغطيته بقميصها وسترتها، ولكن الأوان قد فات، وائل يستعيد الذكريات الآن، ويجمع الصور المتشابكة بطريقة سليمة.

وائل (حيرة): منيرة من أصيبت بهذا الجرح في الملعب. تذكرت الآن.

منيرة (تبتسم): آه.. بهيرة كانت تستخدم اسمي لأجل الذهاب إلى الملعب، وتخدع الأساتذة وأهلي... كانت طالبة غير مجتهدة، ولم يكن يسمح لها بأي نشاط عدا الدراسة، وكانت درجاتي جيدة... لكن كل

الطلاب كانوا يعلمون بأنها هي لأني لستُ اجتماعية، وأحب البالية وكل الأشياء الهادئة، عكسها تماماً.

وائل (ينظر في عيني بهيرة): ما الذي تقوله؟ بهيرة!

بهيرة (يصفر وجهها): أوه. (تتلعثم) أوه... صحيح، لكنها هي الطالبة التي أرشدتها إلى الصف الرابع.

منيرة (متعجبة): ماذا يحدث؟

يلف وائل ذراعه حول أذني منيرة ليغلقها، ثم يضمها بقوة لكيلا تستمع لكلام بهيرة، وهي في هذه الحال.

وائل: لهذا أخبرتني بأن لا أريها الصور؟

بهيرة: أجل. أنت لا تبحث عني بل عن تلك الفتاة التي رأيتها في طفولتك، وبالأصح أنت تبحث عن فتاة تشبهها مظهراً وتدعى منيرة... كل ما تملكه تصورات... (تأخذ نفساً عميق) وأنا اعلم جيداً إنك قدوة منيرة، ومنيرة كانت تمر بظروف سيئة بسبب بيلسان، وقد بدوت كإنقاذ لها، ومنيرة أتمنى لها أفضل مما أتمناه لنفسي بأضعاف إنها فتاة جيدة، تقدم مصلحة الآخرين على مصلحتها،(تتنفس مرة أخرى) ملتزمة بالقواعد، لا تُغضب أحد، ولا تحاول فعل أشياء جنونية. (تغرورق عينيها بالدموع) كانت دائما شخص أغيظه،

وأستعمل اسمه للحصول على امتيازات، ولم تكن تمانع بالرغم إنها تضررت كثيراً بسببي، هي أكبر مني ببضع دقائق، ولكنها كانت دائما تبدو لي أكبر مني بسنين.

يشعر وائل بصدمة، ولكن ابتلال قميصه يوقظه، دموع منيرة تنساب بهدوء وغزارة على قميصه، أنفاسها مختنقة، علم إنها تخفي رأسها خجلاً وإحراجاً وعاراً، ولكن لم يعرف ماذا عليه أن يقول، فهو بنفسه مهتز حتى أعماقه أيضاً.

ثم يسمع صوت يخرج متحشرج من حنجرتها، وهي تقول: آسفة... آسفة... آسفة.

ثم تبعده، يحاول النظر في وجهها، ولكنها تنظر إلى الأرض، وتقول لـ بهيرة: لم تفعلي شيئاً يستحق الفخر لتتحدثي بثقة هكذا. لي حديث آخر معك.

١٦

لا تخف من الحقيقة

لدى وائل عادة بتجاهل الأفكار المزعجة، ونسيانها باللحظة التي يقرر فيها ذلك، ويستمر بالعيش هكذا، وممارسة جميع نشاطاته بطبيعية، فلا يحب أن تدخل مشكلة ما على بقية نواحي حياته التي يرى أن ليس لها ذنب لتحمل تبعات مشكلة لم تكن السبب فيها.

هذه المشكلة لم تكن استثناء من هذه القاعدة، وقد خصص لها وقت كل ليلة ليفكر فيها قليلاً، بالبداية كان التفكير صعباً، وأراد لأول مرة أن يهرب من نفسه التي التصقت بقصص قام بتأليفها بنفسه، وصنعت تلك ألـ منيرة في ذاكرته.

لاحقاً تفكيره بدأ يأخذ منحى مختلف، فقد كره بهيرة التي لو صارحته حينها بالحقيقة لما حصل كل سوء الفهم هذا.

بعدها فكر في هيئة منيرة في آخر مرة رآها... كانت محرجة، ومتعبة، وتعاني، شعر بأنه يتحمل عبئ ذلك الخطأ أيضاً، فلو استسلم في منتصف الطريق لما حصل ما حصل.

ثم مرة أخرى، وفي ليلة أخرى اتخذ تفكيره منحى جديد كلياً، منحى تعجب من نفسه إنه لم يفكر به قبلاً. منيرة صديقته! إنه يعرفها، يتذكر كلام والدته عنها، وكل اللحظات التي جمعتهما معاً، إنها لحظات ثمينة، وأكثر روعة من ذكرياته المهترئة التي يبكي عليها، وبإمكانه المواصلة في الحصول على المزيد من هذه اللحظات، إنه في الحقيقة شاكر لـ بهيرة، فما كان له أن يمر بكل ذلك لو أخبرته الحقيقة.

وفي مرة أخرى استطاع التحلي بالشجاعة للاعتراف لنفسه إنه يحبها حقاً، لأنه هو... هو... وهي... هي... ويجمعهما الكثير غير محض ذكريات لا تستطيع عمل أي شيء في الحاضر والمستقبل.

يتصل بها، لا ترد، يرسل لها رسائل، لا تجيب، تتهرب منه عندما يذهب لعملها ليتحدث عن الزي الرسمي، ثم تنحت عن التصميم، وأحالته لمصمم آخر.

عليه أن يتحدث معها، هناك الكثير لسماعه منها، عليه أن يجدها.

في يوم الإجازة...

يقف وائل في شارع مبنى شقة عائلة منيرة من دون سيارته، حتى لا تنتبه لوجوده فتهرب، تمر ساعة، وبضع ساعات أخرى، وتوشك

الشمس على أخذ قسط من الراحة، ثم تظهر بهيئة بهية، وبالفعل منيرة تماماً.

ينادي وائل، وهو ينظر إلى الأرض: إلى أين تذهبين؟

تواصل السير، وتقول: أنا بهيرة.

وائل: حتى بدون أن أرفع رأسي أستطيع معرفة إنك منيرة من صوتك، تماماً مثلما عرفتني من دون أن أرفع رأسي، ومن دون أن تلتفتي إلي.

منيرة: لا تتذاكى يا صغير.

وائل: إلى أين أنت ذاهبة صديقتي؟

يرى وائل إن منيرة على وشك البكاء، فيقول لها: تعالي معي. هناك حديث لم ننه بعد.

منيرة (تمسك بحقيبتها بكلتا يديها): أجل. هناك الكثير لإنهائه. لنذهب.

يتمشيان بمحاذاة أحدهما الآخر دون أدنى كلمة ليصلا إلى ملعب الأطفال الصغير الخاص بالحي.

تجلس هي على الأرجوحة، ويتكأ هو على الزحليقة، ينظر لها وائل بحب، وهذه المرة هو ينظر لصديقته ولحبيبته الرائعة، وليس

لتصوراته الغبية، ويقول مبتسماً: مضى وقت طويل على آخر مرة رأيتك فيها.

منيرة: غداً سيتم شهر منذ آخر مرة.

وائل:أجل شهر. لماذا تهربت مني؟

منيرة: ليس لسبب معين. لكن أيوجد سبب لنلتقي؟

وائل: بالطبع. لأننا أصدقاء هناك ملايين الأسباب لذلك.

منيرة: أنا لستُ بهيرة.

وائل: منيرة من وافقت على صداقتي.

منيرة: لا أعرف إن كنت أمتلك الحق في قول هذا، ولكني لم أسامحك، والصداقة لم تكن شيء رغبت به فعلاً.

وائل: لم تكوني لتفعليه لو لم تكوني ترغبين بذلك، ولم أكن لأحبك لو لم أكن أرغب بذلك. أنا أحببتك، وأحبكِ أنتِ.

منيرة: وعد كتبت لي رسالة من أربع صفحات قبل وفاتها، شرحت كل شيء بصراحة، وطلبت أن أكون صديقتك، وأن أهتم لأمرك، وشرحت بالتفصيل ما تحب، وما تكره، وكيف هو مزاجك، وكيف تفكر، وكيف كانت صداقتكما، مع هذا أعترف لم تكن الرسالة ستغير شيء لو لم أرغب فعلاً بصداقتك، رغبتي كانت نابعة من الفضول

لمعرفة لماذا لديك كثير من الصديقات الإناث؟ ولم أعرف السبب حتى الآن. لم تكن لي كما وصفوا. ربما لأن هناك موضوع زواج كان في وقتها؟

وائل (ينهض، ويذهب، ويضرب رأسها بلطف، ويعود للجلوس): أغبية أنت؟ أنا شخص رائع عادة، ولكن بسببك... أيش... لأنني امتلكت مشاعر نحوك لم تكن روعتي تظهر.

تقوم منيرة من مكانها غاضبة ومستاءة بلطف، وتضربه على رأسه كما ضربها، ولكن بقوة أكبر، وتقول: ألا تمتلك احترام لمن هم أكبر سناً؟ أنت الشخص الغبي هنا. ألا تفهم ما عنيته؟ كيف تتزوج شخص ليس لديك مشاعر تجاهه؟

وائل (مستاء وعلى وشك البكاء): في عائلتي المشاعر لا تعني شيء. الناس يتزوجون بسبب المال والمنفعة المتبادلة بين العوائل.

ينفجران ضاحكين كلاهما بنفس الوقت، والدموع تقفز من عيناهما.

منيرة تقول: نحن هكذا دائماً، ولا حل لنا.

وائل: لا أعرفك إن لم نتشاجر.

يجلسان على الأرجوحتين المتجاورتين، ويراقبان الشمس تغيب

منيرة: أتعلم أمراً؟ هذه الأيام أشعر براحة كبيرة... شعور الحرية بدون رجل وحب جميل... مع إنني أشتاق لحديثنا أحياناً، إلا إنني حتى في أسعد لحظاتي حين كنت معك كنت أشعر إن السماء كانت تضيق علي. كنتَ مثل المطر... لطيفٌ أحياناً، وكارثي في أحيان أخرى، وبكل الأحوال ستختفي في نهاية المطاف، وستشرق الشمس كما لو لم تكن هنا أبداً، ولن يتذكرك أحد... تأكد من ذلك.

ينظر وائل للشمس التي تكاد تغيب بعد دقائق، ثم يقول: بالنسبة لي وجودك كان يمدني بالطاقة... جميل ومحبب جداً... كنتِ لي مثل ليل طويل حالك الظلام... ربما قد يكون مخيف، ولكننا نحب الليل، نتوق له، ونستمتع بجماله الهادئ، والذي نشعر معه بأن كل همومنا تافهة وبسيطة، وستختفي. في أحلك الليالي نرى أجمل النجوم، وحين يختفي الليل لا تظهر إلا شمس مشرقة... حضورٌ ساحر، وغيابٌ مُراعي، وسنظل دائما في توق وشوق وانتظار لليل... أنا سأحب دائماً، ولن أستسلم، وسأقبل على الحياة بقلب مُحب لا يعرف لليأس عنوان.

يتساقط مطر صيف خفيف، فيهربان، وهما يضحكان نحو الزحليقة ليحتميا بها من المطر.

١٧

الوداع

يجلس وائل فوق ربوة خضراء وحيد يشاهد غروب الشمس، وينتظر قدوم ليلة أخرى.

يستمتع بجلسة تأمل في الهواء الطلق لا صوت سوى صوت الطبيعة، وقد أحببت أن أزعجه.

وائل: شكراً لك، أنت مزعجة حتى آخر لحظة.

الكاتبة: هذا شرف لي... إنه الوداع حقاً. اهتم بنفسك.

وائل: سأفعل. موعد الوداع حان إذن.

لم أجب، ولن أجيب، الشمس تغيب الآن، وأريد أن أتركه يرتاح الآن، ويكمل تأمله.

تمر عشر دقائق، ويحل الظلام، وهو لم يحرك ساكناً.

يناديه نور: هلا أتيت؟ الحفلة بدأت.

النهاية

شكراً لوقتكم الثمين الذي قضيتموه في قراءة الرواية، أتمنى إنها كانت رفيقةً ممتعةً لأيامكم مدتكم بالسعادة والدفء.

دعوني أعرف انطباعكم عنها في تويتر @٢٦__samana.

"بالنسبة لأولئك الذين يعدون أنفسهم محبين:

التهور شجاعة،

والشجاعة حب،

والحب يستحق كل ما لديهم،

لأنه في هذه اللحظات يبدو أبدي،

وأكثر قوة من الحياة ذاتها"

سمانا السامرائي

@samana_26